النقد الذاتي عند الإسلاميين

(١) التيارات القتالية

دراسات في الحالة الإسلامية (٨)

النقد الذاتي عند الإسلاميين

(١) التيارات القتالية

محمد توفيق

الفهرسة أثناء النشر، إعداد نماء للبحوث والدراسات
توفيق/ محمد (مؤلف)

النقد الذاتي عند الإسلاميين (١. التيارات القتالية)

مؤلف: محمد توفيق / كاتب من مصر
224ص، (دراسات في الحالة الإسلامية)
14.5×21.5 سم

رقم الإيداع: 4075/2021
ISBN: 978-614-431-803-4

١. الجماعات الإسلامية. ٢. التيارات القتالية. ٣. النقد الذاتي.
أ. العنوان ب. السلسلة.

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر نماء»

حقوق الطبع والنشر محفوظة لنماء
© الطبعة الثانية، القاهرة / لبنان، 2021م

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

نماء للبحوث والدراسات
بيروت - لبنان
info@nama-center.com
الرباط - المغرب
هاتف - فاكس: 00212808564831
موبايل: 00212688953384
القاهرة - مصر (نماء للبحوث والدراسات)
هاتف - واتس: 00201115533255

لطلبات الشراء البريدية: متجر نماء
www.nama-store.com
nama-store@nama-center.com
هاتف: 00201101509898
واتس: 00201098489815

متجر نماء
Namaa Store

الـفـهـرس

الفصل الأول: مقدمةٌ ومهادٌ مفاهيمي ١٣
- الغرض من الدراسة ١٨
- منهجية الدراسة ٢٢
الفصل الثاني: رصدُ مظاهرِ ومستويات ونصوص النقد ٢٧
المبحث الأول: نقد الأفراد للتيار ٣١
أبو الوليد المصري (مصطفىٰ حامد) ٣١
محاور نقده للتيار الجهادي ٣٤
أ- نقد النمط التنظيمي الجهادي المغلق ٣٤
ب- تقصير طالبان في اعتبار أهمية السلاح الإعلامي ٣٦
ج- غياب القدرة علىٰ ردع القوة التسليحية للولايات المتحدة ٤٠
د- غياب التصور الصحيح للمعركة من قبل طالبان وقيادات القاعدة ٤١
هـ- أخطاء عسكرية واستراتيجية ٤٢
و- فقر الخبرة والمعرفة باستخدام وصيانة الأسلحة وصعوبة تحصيلها إبان الفترة الأولىٰ في الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي ٤٣
ز- انتقاده لقيادات العمل الجهادي -الأفغان والعرب علىٰ حد سواء- .. ٤٣

ح- السذاجة السياسية وضعف تقدير فقه الواقع ٤٤
ط- غياب العلماء الصادقين الراسخين ٤٤
أبو مصعب السوري ٤٤
محاور نقده للتيار الجهادي ٤٨
* الصحوة والجهاديون ومبدأ المراجعة والتقييم ٤٨
* الصحوة والتيار الجهادي والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح ٤٨
* معوقات علىٰ طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير ٤٩
* تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة علىٰ واقع التيار الجهادي منذ ١٩٦٠ وإلىٰ أحداث سبتمبر٢٠٠١ ..... ٥٠
* أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (١٩٦٠-٢٠٠٠) ٥١
* الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عامًا ٥٢
* أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مسار وتجارب التيار الجهادي ٥٥
- أولًا : أخطاء المنهج والتفكير ٥٦
- ثانيًا : أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي ٦٦
- ثالثًا : أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة ٧١
* ملاحظات حول التجربة السورية ككل ٧٥
* ملاحظات حول تجربة الطليعة المقاتلة ٧٧

* ملاحظات حول التجربة الجهادية للإخوان المسلمين ٨٠
أبو أيمن الحموي ٨٥
محاور نقده للتيار الجهادي ٨٦
* نقد ظاهرة إعراض الجهاديين عن التعلم من أخطائهم وضعفهم الشديد في قضية مواكبة الأحداث ٨٦
* نقده لعجز التيار الجهادي عن الاندماج مع الأمة/ المجتمعات واعتماده علىٰ التنظيم النخبوي المستعلي ٨٨
* رصده لبعض مظاهر الانحراف الفكري والمنهجي والسلوكي داخل التيار الجهادي ٩٠
المبحث الثاني: نقد الأفراد للأفراد ٩٩
* انتقادات أبي الوليد المصري (مصطفىٰ حامد) لسياسات أسامة بن لادن وتوجهاته في تسيير الحراك الجهادي ٩٩
* نقد أبي محمد المقدسي لأبي مصعب الزرقاوي ١٠١
* نقد أبي مصعب السوري لأبي قتادة الفلسطيني ١٠٦
* انتقادات أيمن الظواهري وسيد إمام ١٠٨
* انتقادات أحمد سلامة مبروك لوثيقة سيد إمام ١١١
* انتقادات «مجلس شورىٰ جماعة الجهاد المصرية في الخارج» لسيد إمام ١١٢
* انتقادات أبي بصير الطرطوسي وأبي محمد المقدسي ١١٤

* نقد أبي بصير الطرطوسي لبعض مراجعات سيد إمام ١١٥
* موقف عبود الزمر من مراجعات الجماعة الإسلامية - مبادرة وقف قتل السادات ١١٧
* انتقادات الجماعة الإسلامية لتفجيرات القاعدة واستراتيجيات مواجهتها الجهادية ١١٨
المبحث الثالث: انتقادات مرحلة بروز تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ١٢١
* خلافات وانتقادات أيمن الظواهري/ أبي محمد الجولاني- أبي بكر البغدادي ١٢١
* نقد أبي محمد المقدسي لتنظيم الدولة الإسلامية وقياديها ١٣٦
* بيان داعش حول وساطة المقدسي للإفراج عن الطيار الأردني معاذ الكساسبة ١٤٢
* نقد أبي قتادة الفلسطيني لتنظيم الدولة الإسلامية ١٤٣
* خلافات أحرار الشام/الجبهة الإسلامية وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ١٤٨
* طبقة النقد النخبوي الجديدة (نموذج إياد قنيبي) ١٥٣
الفصل الثالث: تفكيك وتحليل الحالة النقدية الجهادية ١٥٧
أولًا: ملامح وخصائص النقد الذاتي الجهادي ١٥٩
ثانيًا: مساحات اشتغال النقد ١٦٣
* النواحي الفكرية والشرعية ١٦٣

* النواحي الحركية والتنظيمية ١٦٦
* النواحي السياسية والاجتماعية ١٦٨
* النواحي الأمنية والعسكرية ١٦٩
ثالثًا: تفسير ظاهرة النقد الذاتي عند الجهاديين ١٧٣
* منظور علم الاجتماع الديني ١٧٤
* منظور مردودات الواقع السوسيوسياسي العربي والإسلامي وتفاعلاته ١٧٧
* منظور سيكولوجي ١٨١
رابعًا: في التحليل النهائي لظاهرة النقد الذاتي الجهادي ١٨٧
* اقتراب الشيخ - التلميذ المتمرد ١٩٠
* النوستالجيا العمرية ١٩١
* اقتراب الزعامة والمرجعية ١٩٢
خاتمة ٢٠٣
خلاصات ختامية ٢٠٥
أهم المراجع ٢١٣

الفصل الأول

مقدمةٌ ومهادٌ مفاهيمي

تعاني مفردة «النقد = Criticism» بشكل عام من تشوه معجمي ومعرفي وممارساتي، حيث توظف في غالب الأمر توظيفات تبعدها عن مساحة اشتغالها كآلية تقويمية بنَّاءه، وتختلط بهذا الشكل المشوه بمفاهيم أخرىٰ تعاني أيضًا من تشوهات كالجرح والتعديل والمراجعات الفكرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ضير من كونها تتوازىٰ أو تتماهىٰ مع تلك الحقول العلمية، إلا أن وضوح الفروق والتمايزات وخطوط التماس بين هذه الحقول لازم عقلي منهجي لضبط عمل كل منها.

ولأن المصطلح وتطبيقاته في الداخل الإسلامي هو محل تداولنا البحثي هنا؛ فإننا سنحاول جاهدين تجلية المفردة ومضامينها وآلية ممارستها علىٰ الواقع بطريقة تجريدية تنزع نحو التأصيل والتنظير من دون استطراد ولا اختزال، ولتكون مولجًا لتحليل الخطاب النقدي الذاتي لمختلف التوجهات الإسلامية.

لعل أسئلة منهجية تأسيسية تتداعىٰ في هذا المقام، ما هو النقد؟ وماذا يعني النقد الذاتي؟ هل نحن بحاجة للنقد الذاتي؟

لماذا يتركز النقد في بعض الأحيان في أطر نظرية تبعد نسبيًا عن الواقع العملي؟ أم أن مسار الحركة الإسلامية غلب عليه الطابع الحركي؟ هل نجحت الحركة الإسلامية في توليد وإنتاج عقول ناقدة؟ كيف يكون النقد البنَّاء؟ وغير ذلك من السؤالات التي ستتوزع إجاباتها في ثنايا دراستنا.

تُعرف مدرسة فرانكفورت في الوسط الفلسفي بـ«النظرية النقدية»؛ وذلك لكونها شنت حملة نقدية شاملة، علىٰ كل المنتج الحداثي والأنواري؛ سواء في المستوىٰ الابيستمولوجي أو المستوىٰ السوسيولوجي؛ إذ انشغل رواد الجيل الأول من المدرسة: هربرت ماركوز، ثيودور أدورنو، ماكس هوركاهيمر، وإيريك فروم بنقد العقل الأنواري (النص الأهم في هذا السياق هو: «جدل التنوير»)، إذ سعىٰ كل من ماركوز وهوركاهيمر، إلىٰ تقويض الثقة المفرطة في العقل، واتهما عقل الأنوار بأنه لم يستطع النجاة من الأسطورة التي طالما حاربها، بل يجادلان بأن هذا العقل وللمفارقة قد تمت أسطرته. وفي سياق سوسيولوجي انشغل رواد المدرسة أيضا بالآثار التي خلفتها عمليات التحديث والعقلنة علىٰ الإنسان؛ إذ زجت به في فراغ الاغتراب والتشيؤ، وكذلك الآثار التي خلفتها علىٰ الثقافة في المجتمع؛ إذ حلت الثقافية الجماهيرية، التي ينتجها النظام، محل الثقافة الرفيعة. ولكن عندما تمت إعادة بناء المدرسة، علىٰ أسس «كانطية» علىٰ أكتاف «ي. هابرماس»، ورفيقه «ك. أ. آبل»، قاما بعملية نقد مضاعف؛

إذ انشغلا بنقد نقد الجيل الأول من المدرسة للعقل؛ حيث جادل «هابرماس»، بأن أساتذته هؤلاء قد أصابتهم لوثة «نيتشوية» قد تبدّت في المضمون العدمي الذي يسكن تلافيف نقدهم للعقل والمجتمع الحداثيين، وراح «هابرماس» وعن طريق فلسفة «العقل التواصلي» يعالج أساتذته من داء العدمية هذا، ويطرد عنهم لعنة «نيتشه». والدافع للحديث عن النقد ونقد النقد، هو الحاجة لترشيد الخطاب الإسلامي الحاضر في المشهد الراهن، والمفعم بدرجة نقدٍ حادةٍ، يعتصر الذات الإسلامية، ويحملها المسئولية كاملةً عن كل ما يحل بها[1].

ومن المعلوم أن النقد التقويمي هو نقدٌ لا يروم تقويض الموضوع محل النقد، وإنما هو نقد يتغيا البناء والترميم. هذه الخاصية التي يتمايز بها هذا المستوىٰ من النقد، تستلزم أن يكون منضبطًا ومشروطًا بضوابط وشروط تضمن له أداء مهمته التقويمية، وإلا سقط في مزلق التقويض وفقد قيمته. ولعل من أهم هذه الشروط؛ مراعاة الظرف السوسيولوجي-النفسي التي يخضع له الطرف محل النقد، ولعله من الملفت أن نجد أن هذا الخطاب النقدي «غير البناء» يصادر دومًا علىٰ هذا الشرط، ويمتهن قيمته، واصفًا إياه بكونه ترحيلًا للمشكلة وهروبًا من مواجهتها، مع أنه منطقيٌ إهمالُ هذا الشرط يجعل الممارسة النقدية بلا جدوىٰ

(١) مقال: «النقد كحرفة .. النقد كقيمة»، طارق عثمان، ٢٨ يوليو ٢٠١٣م.

كالآتي: فأنا كطرف منقودٍ لابد أولا أن أتعامل معك بوصفك ناصح تريد الإصلاح وعلاج المشكلة، وهذا لا يتحقق إلا عندما يتضمن خطابك النقدي تأكيدًا علىٰ ذلك. فكيف الحال إذا كان هذا الخطاب عاريًا تمامًا من هذا التأكيد (بغض النظر عن صحة المقصد والمنطلق)، وإنما مسكونًا في المقابل بالتنكيل والهجاء؟ ولذا فإهمال هذا الشرط، المصَادر عليه غالبًا، يجعل النقد يأتي بأثر عكسي، بله عدم القيام بمهمته التقويمية. كما أنه ثمة مفارقة كامنة يسقط فيها قطاع من الخطاب النقدي توسم بـ«الدوغمائية العكسية»، وهي: بالرغم من النكير المستمر بلا نهاية علىٰ التصور الدوغمائي الذي يسكن عقل الإسلاميين فيما يخص منهجهم الإصلاحي المعتمد لآلية العمل السياسي (بالإضافة إلىٰ كثير من التصورات)؛ إلا أنه يسقط في دوغمائية عكسية، ترفض هذه الآلية، رفضًا قطعيًا وثوقيًا. والطبيعي أن يتم تقديم الرأي هذا، بوصفه وجهة نظر موازية لوجهة النظر محل النقد، كلاهما أهلٌ للنقد، ولا ترقىٰ إحداهما للمطلق. يضاف لذلك النظرة الاختزالية التي ترىٰ الكيانات الإسلامية الراهنة، كائنات سياسية تسعىٰ وفقط للإصلاح عبر السعي للسلطة، مهملةً كلًا لم ناشط الأخرىٰ التي تقوم بها في المجتمع، ويكأنها غير موجودة!. وكذلك تلك النزعة العدمية التي تلوح علىٰ وجه هذا الخطاب؛ والتي تتمثل في سلب الحركة الإسلامية من كل جدوىٰ ونفع طالما ظلت هكذا سادرةً في غيّها السياسي النازع نحو تملك السلطة! تشبه نزعة الجيل الأول

لفرانكفورت، والتي تحتاج إلىٰ نقد هابرماس المضاعف. فالنقد إذن ليس حرفةً نقوم بها كيما نسجل موقفًا ونؤكد حضورًا؛ وإنما هي قيمة يلزمها الكثير من الضوابط حتىٰ يكون نقدًا منتجًا، وحتىٰ لا نسقط في التعالي والمفارقة. قد نتفق في مادة النقد التي يقدمها هذا الخطاب (أي نقد القصور المتحقق في عقلية وممارسات الكيانات الإسلامية)، ولكننا ننقد طبيعة الممارسة النقدية نفسها، حرصًا علىٰ تقويمية هذا النقد، ودفعًا له بعيدًا عن هاوية التقويض. ولذا يقول العقاد: (فالنقد الصحيح هو الذي يفطن إلىٰ شخصية المنقود ويألف عيوبها كما يألف حسناتها ويطالبها بالأمانة لتلك العيوب كما يطالبها بالأمانة لتلك الحسنات)[1].

ويصيب مصطلح «الجهاد» ما أصاب مفردة «النقد» من تشوهات وتحريفات، فكرية ومفاهيمية وشرعية، إما بسبب التشويه المفاهيمي والفكري المتعمد، بعلم أو بجهل، أو بسبب التشوه الممارساتي الذي قامت به قطاعات ممن ينسبون أنفسهم لهذه الشعيرة الإسلامية الأصيلة. فباتت مفردات «العنف» و«الإرهاب» و«التطرف» و«التشدد»، هي مرادفات تشويهية لمفردة «الجهاد»، وباتت علىٰ المستوىٰ الاصطلاحي مدرجةً قسرًا للمعجم الإعلامي والثقافي، دونما تحرير وتمييز للمعاني والدلالات الدخيلة علىٰ المصطلح، وهي علىٰ التحقيق مدخولةٌ مسربةٌ قصدَ التشويه الفكري

(١) بتصرف من السابق.

والثقافي وبالتالي الشرعي، إذ إن نقاء الفكرة -مثاليتها- قد يظل مخزونًا في الذهن بغض النظر علىٰ سوء التطبيق وانحرافاته، إلا أن قصد التشويه كان يروم جذور المفهوم حدًا ورسمًا.

ولعل من العسير أن يتولد عن الحركة الجهادية خطًا نقديًا معرفيًا وممارساتيًا واضحًا؛ نظرًا لبعض العوامل النفسية والأيديولوجية، فضلًا عن تعرض أفرادها دومًا إما للأسر أو للقتل، وهو ما يوجد هذا القدر من العسر الذي ندعيه؛ إلا أنه من اللافت أن تكون الحالة الجهادية مفعمةً بالنقاشات والحوارات النقدية الداخلية، نتيجةَ عوامل ذاتية وأخرىٰ خارجية، يأتي بيانها وتحليلها في ثنايا الدراسة.

الغرض من الدراسة

تتغيّا الدراسة هدفًا منهجيًا عالقًا في فضاء البحث في فكر وممارسة الحركات الإسلامية بشكل عام، والتيارات القتالية/ الجهادية هنا بشكل خاص. إذ ثمة خلل منهجي مؤثر في مسار البحوث المتعلقة بالحركات الإسلامية وشتى صنوف التفاعلات المعرفية مع الظواهر المتعلقة بها. فحصيلة المتاح من الدراسات والبحوث والمؤتمرات المعنية بتفاصيل الحركات الإسلامية مشوه ومنقوص منهجيًا ومعرفيًا، علة ذلك تتركز في غالب الأمر حول غياب التفكيك والتشريح المناسب لكل تيار وحركة على حدة، والذي ينبني عليه جودة تكوين التصورات والأحكام، وتحليل الأحداث والظواهر، وتعيين الأسباب والمنطلقات. وتعاني طرائق التعاطي مع الحالة الإسلامية -بشكل عام- من أخطاء منهجية بارزة

تنحرف بمضامين عمليات النظر والتقسيم والمعايرة التي تنشغل بها إلى نتائج وأحكام غالبًا ما تكون بعيدة ومغلوطة عن مفردات الحالة الإسلامية ومكوناتها، الأمر الذي أنتج مع مرور الوقت -من جملة مراحل تراكم المعلومات والأفكار المتعلقة بها- تكلسًا معلوماتيًا مشوهًا لسلسة تعاقب وتراكم وانبناء المضمون المعرفي لهذا الفرع من العلوم المنشغل بدراسة مختلف جوانب الشأن الإسلامي.

ثمة جملة من الملامح البارزة التي ساعدت على حصول هذه الأخطاء المنهجية المتعلقة بشكل أساسي بتصور وتعريف الحركات والتيارات والجماعات الإسلامية، من أبرزها:

* يغلب في كثير من الأحيان التعامل مع الحالة الإسلامية بقدر كبير من التعميم والإطلاق، دونما مراعاة للفروق الدقيقة التي تتمايز من خلالها العديد من المجموعات داخل الحالة الإسلامية بعامة، وفي الداخل الإسلامي الخاص = تيار أو جماعة أو حزب.

* يندر ملاحظة الخطأ المنهجي الذي يقع فيه البعض في المقارنة بين مختلف الاتجاهات والأنماط داخل الحالة الإسلامية دونما حضور واضح لمُعامِلات ومعايير التقسيم والتصنيف، ومن ثم تختلط هذه الأنماط من غير تسكين محكم للتيارت والحركات الإسلامية كلٌ تحت تصنيفه المنهجي الدقيق. وقد يضع البعض المعايير التي إرتأها للتصنيف، لكنها غالبًا ما تتضمن عددًا من الاستدراكات والمؤاخذات الناتجة عن قصور في بنية هذه المعايير ودقة المعلومات التي اعتُمد عليها.

* من الملاحظ أيضًا أن النظر للحالة الإسلامية يتضمن مستويين يتقاطعان ويتداخلان، أحدهما هو النظر إليها كظاهرة اجتماعية تنطبق عليها أدوات التحليل الاجتماعي، والآخر هو النظر إليها بكونها ضمن السياق الملازم للخصائص الدينامية للمجتمع المسلم على مر العصور، قديمًا وحديثًا، مع الأخذ في الاعتبار قدرة المخزون الفكري والفقهي والأصولي الإسلامي على التعاطي مع المستجدات والنوازل في كل زمان ومكان، وهو الذي قد يفسر التباينات الواضحة بين الحالة الإسلامية في الماضي والحاضر، وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ما أردت بيانه هنا هو غلبة التعامل مع الحالة الإسلامية - وخاصة الحركات الإسلامية - كونها ظاهرة اجتماعية وسياسية مثلها مثل الجماعات والحركات الاجتماعية الأخرى، وبسبب قصور الإسلاميين أنفسهم في تبيان خصوصية المجتمع المسلم وتميزه في هذا الجانب؛ بات المستوى الأول هو الغالب.

* ثمة عامل دقيق ورئيسي ينتج تشوشًا في النظر للحالة الإسلامية؛ ألا وهو التعقيدات التي تلازم عددًا من التيارات داخل الحالة الإسلامية، وعادة ما ترتبط هذه التعقيدات بعوامل عقدية وفكرية متداخلة مع أسباب سوسيوسيكولوجية، وهو ما يضفي صعوبات تفكيكية وتحليلية في تناولها. بالإضافة إلى أن هذه العوامل والأسباب دائمًا ما تنتج تغيرات في خريطة الحالة

الإسلامية من حين لآخر، وهو ما قد يحكم بنسخ التقاسيم والتصنيفات التي لا تتواكب مع هذه العوامل والأسباب أو لا تضعها في الاعتبار.

* غياب الاهتمام والتركيز العلمي المنهجي داخل الحالة الإسلامية لتأريخ وتحقيق الأحداث والمواقف التاريخية للحركات والتيارات والرموز الإسلامية، وبالتحديد غياب التأريخ والتحقيق الذاتي، الأمر الذي جعل من أدبيات من هم دونهم من الباحثين والمراكز البحثية هي المصدر المعرفي المتراكم لمن أراد البحث عن تاريخ وتقاسيم مكونات الحالة الإسلامية. وهنا تبرز إشكالية أخرى؛ وهي انقطاع أسانيد بعض المعلومات والأخبار التي يُعتمد عليها في دراسة الحالة الإسلامية، وهو العامل الأبرز من جملة أسباب التشوهات التي تنتاب دراسات الحركات والتيارات الإسلامية.

بالقطع لا يمكن إغفال أثر الأبعاد التحيزية التي تلازم قطاعات واسعة من الباحثين والمدّعين للتخصص في شؤون الحركات الإسلامية، فغلبة الأيديولوجيا وحضور المزاج المتحيز يبعد الباحث عن المنهجية والموضوعية، وكثيرة هي مراكز الأبحاث ودور النشر التي تنطلق مشاريعها من هذه التحيزات والمواقف المسبقة، فبين مراكز عروبية/قومية[1]، وأخرى علمانية

(١) من أبرزها مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

ليبرالية[1]، وثالثة تابعة لرجال أعمال ومؤسسات خاصة[2]، ورابعة تابعة للدولة[3]، ناهيك عن باقي مراكز الفكر الغربية الفاعلة في صناعة القرار والرأي العام هناك. ولعل سياسات التضييق والحصار التي تمارس على الحراك الفكري والثقافي الإسلامي في العالم الإسلامي جعلت من تمدد هذا النسق الحضاري المعرفي من جانب الإسلاميين يواجه كثيرًا من العقبات والمشكلات، ولذا فإن عددًا من المراكز الفكرية الإسلامية القليلة الموجودة تتحمل قدرًا من مسؤوليات هذا القطاع الفكري المعرفي المهم.

منهجية الدراسة

قد يكون من المغاير منهجيًا عن عرف الكتابة العلمية في شؤون التنظيمات والحركات والظواهر الاجتماعية الديناميكية ابتداء الدراسة بالظاهرة المدروسة دون التمهيد لها بتأصيل أحجية الدراسة وتنظير أدواتها. بيد أنني استحل مخالفة هذا العرف، بحكم كونه عرفًا، ولغرض تحقيق مزيد قناعة وتأثير لدى القارىء، إذ أن البحث في غمار قضايا التيارات الجهادية ممسوس بقدر عالٍ من الحساسية، فضلًا عن قدر من قوالب الاتهامات الجاهزة بالعمالة

(١) من مثل مركز المسبار للبحوث والدراسات بدبي.

(٢) من مثل مركز العربية للدراسات التابع لقناة العربية الإخبارية، ومن مثل مركز المصري للدراسات السياسية التابع لصحيفة المصري اليوم.

(٣) من مثل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجة التابع لمؤسسة الأهرام بمصر، وكذا مركز الجزيرة للدراسات التابع لقناة الجزيرة وهي لسان حال السياسات القطرية.

والتخذيل والسفسطة، وغير ذلك من نتاج تشوهات شرائح من أنماط العقل العربي والإسلامي المعاصر. وعليه فإنني سأقدم في الدراسة في فصلها الثاني عرضًا مستوعبًا قدر الطاقة نصوص ومستويات ونوعيات النقد الذاتي الجهادي، فمساحة النظر والفحص ستنقسم إلىٰ دائرتين؛ الأولىٰ ستعنىٰ بالعرض والنظر والتقسيم في نماذج نصية نقدية موضوعية نسبيًا مارست عملية النقد وخطته في أدبياتها، ثم نتناول نصوص النقد التي خطها الجهاديون بالتدقيق والتحليل بغية الانتقال بها للدائرة الثانية التي ستعنىٰ باستنطاق واستقراء منطلقات وأسس ومآلات هذه الممارسات النقدية علىٰ واقع كل تيار، وفي ذلك في الفصل الثالث.

ولمزيد وضوح لمركب «النقد الذاتي» المبحوث في الدراسة؛ أود أن أحرر مفهومًا إجرائيًا لتحقيق مزيد تحرير لمرتكز الدراسة = «النقد الذاتي عند التيارات القتالية/ الجهادية». فالدراسة تتمحور بالأساس حول النصوص والأدبيات التي تناولت انتقادات متبادلة بين أفراد ومجموعات التيار الجهادي، من الأفراد لمجمل التيار، ومن الأفراد للأفراد. إذن نحن هنا أمام رصد لأبرز وأهم نصوص «الاعتراض»، و«التقويم»، و«النقض»، والتسلط الزعاماتي المعرفي أحيانًا = رأس المال الرمزي؛ كلها تمثل مرادفات إجرائية اصطلاحية تحدد حيز الرصد الذي ستتناوله الدراسة.

بينما يعرف التيار الجهادي من خلال مستويين؛ أحدهما المستوى العملي الممارساتي، والثاني المستوى الفكري. فالتعريف

بالمستوى الأول يشير إلى مجموعات وكيانات، تتفاوت مراتب المنتسبين لها زعامة ومرجعية وتبعية، تتبنى مسار المواجهة والمقاتلة المسلحة/ العنيفة مع مخالفيها، ويترتب المخالفون لهم في سلم «الأعداء» تبعًا لمحددات عقدية وفقهية خاصة، تتضمن مستويات الكفار الأصليين والمرتدين والمنافقين والجهلة المتبعين والخونة المعادين، وذلك تبعًا للمحددات والمعايير التي يتبعونها في التصنيف. أما على المستوى الفكري؛ فيعرف التيار الجهادي[1] بأنه ممن يحملون مجموعة من الأفكار التي تمثل نظرية المعرفة الخاصة بهم، مركزها هي فكرة الخروج على النظم السياسية «الوضعية» غير الشرعية وغير المعتمدة على الشريعة الإسلامية كمرجعية شاملة.

ومما قد يلاحظ ضمن الجانب التحليلي لظاهرة النقد الذاتي للتيارات القتالية/ الجهادية؛ أن مساحة التحليل تضمنت تحليلات مباشرة للظاهرة، وأخرى متعلقة بشكل غير مباشر، أو بمعن آخر؛ تحليلات لبنية التيار الجهادي الفكرية أو الشرعية أو السياسية أو الاجتماعية، إذ أن العوامل الفاعلة والمؤثرة في بنى التيار الجهادي متعددة ومتداخلة، ولا يمكن من الناحية المنهجية والواقعية تحليل ظاهرة جزئية داخل التيار دون الاضطرار للنظر في الجذور التأسيسية المشكلة للوعي والموجهة للسلوك والحاكمة

(١) بتصرف من: «تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية»، د. كمال حبيب، ص ١٢٩، دار مصر المحروسة.

للعقائد ولتصورات، وهو ما سلكناه في دراستنا هذه.

وأود أن أنوه هنا إلىٰ ملاحظةٍ مهمةٍ متعلقةٍ باتساع دلالات مهمتي الرصدية والتحليلية لظاهرة النقد الذاتي لدىٰ الجهاديين، إذ إنني قد استخدم تراكيب ومفردات دارجة وشائعة في الأوساط البحثية، أو مشهورة إعلاميًا، إلا أنني أقرر شرطًا مفاهيميًا للقارئ، وهو أنني أجرد المفهوم من علائقه السلبية ولا ألتزمها، وأتعامل مع المفهوم والمصطلح والتراكيب بأبسط دلالاتها وأكثرها تبادرًا، ولذا فعلىٰ القارئ الكريم أن يتعامل مع الدراسة علىٰ هذا الشرط، وأن يخلي الذهن من اشتباه التحيزات واستباق الحكم بمواقف مسبقة أو توهم استبطان سوء الطوية في تسطير نقد أو سوق نص أو استعارة نقل، آملًا صدق النصح والتقويم من الغيورين والمهتمين.

أمر أخير ينبغي تقريره من حيث الاصطلاح؛ وهو أنني فضلت المزج المفاهيمي والتزاوج المصطلحي بين مفردتي «القتال» و«الجهاد»، في غالب الدراسة، وذلك لأهمية التأكيد على الدلالة المرادة منهما، وخاصة مفردة «الجهاد»، إذ أن التشوه الذي طالها ينبغي تجريده وتهذيبه دلاليًا ليصل للذهن دالًا على الممارسة والتطبيق، وحاملًا لنزعة مفاهيمية نحو فصل النظرية الجهادية في الإسلام عن تلك التي تُتناول في البحوث والدراسات والمُصطَلحة على تناول «الجهاد» إجرائيًا بمعنى القتال والعنف مجردًا من مفاهيمه ودلالاته الفقهية والعقدية النظرية، والعملية المرجعية.

وأود ختم هذه المقدمة بشكر خاص لأخي الكريم الأستاذ أحمد سالم علىٰ جهوده وتوجيهاته، كما أود شكر أخي الحبيب أدهم عبد الباري علىٰ تكبده عناء النظر والتقويم لهذه الورقات، والشكر موصول لأخي الدكتور ياسر المطرفي مدير مركز نماء علىٰ تبنيه نشر هذه الدراسة من خلال مركز نماء الذي أشرف بالانتساب والعمل له، كما أشكر الدكتور الطيب بو عزة على ملاحظاته المنهجية القيمة، والتي قوّمت الدراسة وأثرتها بتوجيهاته.

ولا يفوتني هنا أن أستجلب الرحمة والبركة بالإقرار بالفضل للوالدين الكريمين، أسأل الله أن يرحمهما كما رباني صغيرا، وكذا لفضل خير صاحبة وخليلة في الدنيا؛ الزوجة النقية أم عبيدة، جمعنا الله في ظل عرشه بصحبة رسوله ﷺ يوم الدين.

الفقير لعفو ربه ومولاه

محمد توفيق

الفصل الثاني

رصد مظاهر ومستويات ونصوص النقد

المبحث الأول: نقد الأفراد للتيار

المبحث الثاني: نقد الأفراد للأفراد

المبحث الثالث: الحالة النقدية في حقبة بروز تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)

أسلفنا في المقدمة أهمية تجويد أدوات التفكيك المنهجي للظواهر المعقدة كتلك المتعلقة بالحركات والتيارات الإسلامية المختلفة، ولذا فإن السعي لتبين الخصائص والسمات المميزة للظاهرة المطروحة والتي ينبغي اعتبارها واستصحابها قبيل الدلوف لخطوة الاطلاع على النصوص؛ أمر مهم وكاشف لقطاع من تعقيدات الظاهرة. إذ تتسم الحالة الجهادية بشكل عام بجملة من السمات التي ينبغي استصاحبها دومًا حال التعاطي معها علىٰ مستوىٰ الدراسة والتحليل والرصد:

- التعقيد؛ وهي سمة بارزة تمس البنىٰ المعرفية والمرجعية للتيار، والتمدد الفكري والتنظيمي له، ومعايير الانتساب والقيادة، والسيولة الحركية المولدة لتنظيمات ومجموعات جديدة من حين لآخر.

- التقلبات والتغيرات المستمرة والمفاجئة؛ إذ إن التيار الجهادي دائمًا ما يتعرض لتغيرات حركية تنظيمية، وأخرىٰ فكرية سياسية، نظرًا لفرط حركية التيار المرتبطة بلزوم تفاعله مع الأحداث.

- الأنا الجهادية ذات المضمون الاحتكاري، وهي من عوامل التشظي الفكري والتنظيمي للتيار، إذ أن هذه السمة تدفع في كثير من الأحيان إلىٰ انشقاقات وتصدعات في جغرافيا التيار.

وبناءً علىٰ هذه السمات فإننا سنسعىٰ لرصد ثلاثة مستويات من النقد؛ الأول هو نقد الأفراد لمجمل التيار، والثاني هو نقد الأفراد

للأفراد، سواءً كان الأفراد ممثلين لمجموعات تابعة لهم أو ممثلين لذواتهم فقط، أما الثالث فمتعلق بحقبة بروز تنظيم الدولة الإسلامية والموسوم إعلاميًا بـ«داعش»، إذ أن هذه الحقبة تحمل في طياتها قدرًا من الاختلاف عن سابقاتها، كما أنها من الظواهر التي مازالت قيد التشكل والتبلور، وتتسم بقدر من الغموض والتعقيد النسبيين.

المبحث الأول

نقد الأفراد للتيار

١- أبو الوليد المصري (مصطفىٰ حامد)

يعد مصطفي حامد من أبرز من عايشوا الجهاد الأفغاني وأرّخوا له منذ بداياته وحتىٰ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فهو مصري من محافظة الشرقية، تخرج عام ١٩٦٩ في جامعة الإسكندرية كلية الهندسة قسم الهندسة الميكانيكية، وعمل في الصحافة خلال فترة السبعينات في عدد من الصحف الأهلية في أبو ظبي. تطوع مع المقاومة الفلسطينية -حركة فتح- لفترة قصيرة أثناء الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٧٨، وفي عام ١٩٨٥ أقام في باكستان مع أسرته وعمل هناك مديرًا لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتىٰ منتصف عام ١٩٨٦. بعد ذلك ظل يكتب لجريدة الاتحاد وصحف ومجلات أخرىٰ في أبو ظبي ولندن حتىٰ عام ١٩٩٠. قابل العديد من قيادات ورموز الجهاد الأفغاني من مثل عبد الرسول سياف، وعبد الله عزام، وأسامة بن لادن، وأيمن الظواهري، بل ويزعم الرجل أن جميع القيادات القديمة في تنظيم

القاعدة هم أصدقاء شخصيون مقربون له، وبعضهم ربطته بهم زمالةٌ جهاديةٌ قديمةٌ في أفغانستان قبل تشكيل تنظيم القاعدة الذي لم ينضم إليه -حسبما يذكر-. منذ عام ١٩٨٨ ربطته صداقة قوية مع المجاهد الإخواني في حرب فلسطين الأستاذ «أبي أسامة المصري» أثناء زياراته العديدة لبيشاور وأفغانستان. كان كاتبًا أساسيًا في مجلة «منبع الجهاد» التىٰ أسسها جلال الدين حقانىٰ في بيشاور من عام ١٩٩١ حتىٰ عام ١٩٩٢. وعندما بدأت حكومة باكستان بطلب أمريكي في طرد العرب ومطاردتهم في مارس ١٩٩٣؛ وجد نفسه مطلوبًا للاعتقال، فأرسل أسرته إلىٰ اليمن، ولجأ هو إلىٰ خوست وأقام في معسكرات «جهاد وال» و«الفاروق» التابعة للقاعدة[1].

أشرف منذ أوائل ١٩٩٣علىٰ برنامج لتدريب كوادر جهادية لحزب النهضة الطاجيكي الذي كان يقوده السيد عبد الله نوري، ومجموعة من الكوادر الجهادية في أوزبكستان الذين شكلوا لاحقًا الجماعة الإسلامية الأوزبكية بقيادة محمد طاهري الديف، وفي نفس الوقت تدربت معهم الدفعة الأولىٰ من المجاهدين الشيشان الذين أسسوا العمل الجهادي في وقت لاحق بقيادة شامل باسييف. ذهب إلىٰ السودان في شتاء عام ١٩٩٦ وبقي هناك عدة أشهر حتىٰ عاد علىٰ نفس الطائرة الخاصة التي أبعدت بن لادن وعدد من كبار مساعديه من الخرطوم إلىٰ جلال آباد في مايو من

(١) مستفاد من موقعه الشخصي:

http://www.mustafahamed.com/

نفس العام. قابل زعيم حركة طالبان الملا محمد عمر في مدينة قندهار عدة مرات، وكان أول من بايعه من العرب أميرًا للمؤمنين في أواخر عام ١٩٩٧. أقام في أفغانستان منذ عام ١٩٩٣ وحتىٰ الحملة الأمريكية عام ٢٠٠١م. كتبفي مجلة «الإمارة الإسلامية» منذ عددها الثاني أواخر عام ٢٠٠٠، إلىٰ أن أوقفتها الحرب في ٢٠٠١. ثم عاد في عام ٢٠٠٩ ليكتب في مجلة «الصمود» التابعة للإمارة الإسلامية والتي صدرت بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان. في قندهار عمل مراسلًا لقناة الجزيرة القطرية من سبتمبر ٢٠٠٠ إلىٰ سبتمبر ٢٠٠١. له العديد من المقالات والكتب المنشورة علىٰ الإنترنت والتي وتدور في معظمها حول تجربة العرب في الجهاد الأفغاني الذي عاصره منذ بدايته[١].

دوّن مصطفي حامد الكثير من المواقف والأحداث التي عايشها إبان تجربته الجهادية، وهو الأمر الملاحظ من خلال كتاباته الكثيرة، كتبًا ومقالات وحوارات منشورة علىٰ موقعه الشخصي علىٰ الإنترنت، إلا أن كتاباته تتسم بكونها سيل من الخواطر وتسجيل المواقف والأحداث التي مرّ بها الرجل، وهو ما يجعل من محاولة تصيّد النسق الفكري والمنهجي شيئًا عسيرًا بعض الشيء، خاصةً وأن التجربة طويلة، والرجل تصدىٰ لها كتابةً ونقدًا بشكل تفصيلي ومتناثر.

---

(١) السابق.

وعبر تتبع لجل ما خطه أبو الوليد من نقد ومراجعة لمسار التجربة الجهادية التي مرّ بها؛ كانت أبرز القضايا والمحاور التي وجه لها النقد:

أ- نقد النمط التنظيمي الجهادي المغلق.

وهي قضية يتكرر فيها نقد أفراد التيار لمجمل التيار وديناميكياته، على الرغم من ضرورته للحفاظ على سرية وفاعلية حركية هذه التنظيمات. يقول أبو الوليد: (لأن الدين جاء للشعوب التىٰ تسكن الأرض ولم يتنزل علىٰ تنظيمات مغلقة. فعزلا لدى نفي «تنظيم» من غلقه وأمر مخالف لطبيعة الدين المنفتح علىٰ جميع البشر، وسرية الدعوة هو مبدأ أخذ طابعًا محدودًا في ظروف بداية الدعوة الإسلامية، ولم يكن انعزالًا أو تعاليًا، بل عمل المسلمون علىٰ الخروج منه بأسرع ما يمكن ومهما كان الثمن، وقد دفعوه وكان غاليًا، علىٰ شكل تضحيات لأجل الخروج من العزلة وليس من أجل الدخول فيها . . . كما أن الجهاد عبادة عامة للأمة كلها للدفاع عن نفسها وحماية معتقداتها، ولا يمكن أن ينجح الجهاد بمعزل عن مشاركة عموم الأمة. وهذا هو الفرق بين حركة طالبان التىٰ تجاهد بأمتها ضد عدوها، وبين التنظيمات الجهادية العربية التي تجاهد بأفرادها ضد عدوها، الذي هو غالبًا معظم أمتها، فتوجه السلاح نحوهم، وربما نحو باقي التظيمات الجهادية التي تعمل معها علىٰ نفس الأرض، كما يحدث في سوريا الآن. لقد أثبتت أحداث الربيع العربي المغدور أن زمان التنظيمات المغلقة قد

ولىٰ إلىٰ غير رجعة، وأن قدرة الفعل الحقيقية هي بأيدي جماهير البشر، سواء في ثورات شعبية سلمية تمامًا، أو حركات جهاد شعبي مسلح كما في أفغانستان، وأن السبب الرئيسي في فشل موجة الربيع العربي هو عدم وجود قيادة لها، فقادها الغرب وصبيانه المزودين بوسائل الاتصال الحديثة ... عزلت مجموعات «الجهادية السلفية» نفسها داخل اجتهاد فقهي، معارض لكل ما عداه من مدارس فقهية أخرىٰ، ثم التشدد الأقصىٰ، وبدون تمييز بين الجوهري والفرعي، وعدم احترام الآراء الفقهية الأخرىٰ، بل والتهجم عليها بالقول والفعل، ومؤخرًا بالأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة، بما يخرجهم عن المعقول وعن السياق العام المتفق عليه بين أغلبية المسلمين. كل ذلك شدد العزلة عليهم، ونفّر المسلمين منهم، وجعل تلك التنظيمات في صراع مع أمتها، حتىٰ صار أهم من صراعها ضد أعداء الأمة الحقيقيين. تلك كانت أسوار متتالية من العزلة، فرضتها التنظيمات الجهادية علىٰ نفسها، وهناك الكثير من الأخطاء التي تحتاج إلىٰ تفصي لمستقل. ما فعلته التنظيمات الجهادية العربية -وغير العربية- في أفغانستان، ثم ما قامت به في بلادها أثبت أنها غير قادرة علىٰ اتخاذ المسار الصحيح لحركتها، أو تلبية مطالب واحتياجات شعوبها، كما أنها سهلة الخداع والاستخدام من جانب أعداء الأمة الإسلامية، وعلىٰ رأسهم الولايات المتحدة وشقيقتها إسرائيل. وقد تحملت أفغانستان عواقب وخيمة نتيجة افتراضها حسن النية في تلك

التنظيمات، والظن الحسن بأنها تقدم خدمات للإسلام ولشعوبها)[1].

ب- تقصير «طالبان» في اعتبار أهمية السلاح الإعلامي.

يذكر أبو الوليد في سياق انتقاده لسياسات حركة طالبان في الشأن الإعلامي: (من أخطاء السياسة الإعلامية لحركة طالبان في ذلك الوقت -وقت وجودهم في السلطة- كانت احتقار دور الإعلام واعتباره نوعًا من اللغو، وأن العمل علىٰ الأرض هو الأساس الحقيقي، وذلك صحيح، ولكن ليس بشكل مطلق، فالإنجاز علىٰ الأرض هو الأساس، ولكن إخلاء الساحة الإعلامية للعدو يتيح له اكتساب عقول وقل وبالناس إلىٰ جانبه، في ضلله مبحيثي تحركون حتىٰ ضد مصالحهم الفعلية، سعيًا وراء أوهام وأطماع تخدم مصالح الأعداء، فالمعركة الفعلية تدور علىٰ الأرض، ولكن هدفها الأساسي كسبع قول الناس وقلوبهم، وذلك دور الكلمة والصورة وليس البندقية والمدفع. وحروب الأفكار لا تنقطع أبدًا، بينما حروب الحديد والنار مؤقتة. وطبعًا لا يستطيع أحدٌ أن ينكر أن معارك الحديد والنار تؤثر كثيرًا في الأفكار والمشاعر، فهي بالفعل أحد الأشكال القوية جدًا للإعلام، ولكنها أبدًا لا يمكن أن تحل محل الكلمة الصادقة.

استفاد إعلام العدو من الأخطاء علىٰ الساحة الأفغانية مهما

---

(١) السابق، ص١٠٥، ١٠٦.

كانت بسيطةً، وحولها إلىٰ جرائم فظيعة ضد حقوق الإنسان والحرية بمفهومها الغربي، وكانت بعض تطبيقات جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد شابها بالفعل بعض التجاوزات والتمادي غير المبرر . . . من أبرز الأخطاء التي أضعفت إعلام الإمارة، رغم ضعفها التكويني، هي فتوىٰ تحريم التصوير، وهو موضوع خلاف بين العلماء المعاصرين، ونتج عن التحريم حرمان الإعلام من أهم عناصر قوته وهي الصورة، التي تؤثر أفضل من مئة مقال إذا كانت تعبر عن الواقع، فلا يمكن أن يوجد إعلام حقيقي بدون صورة معبرة تنقل المشاهد إلىٰ قلب الحدث أفضل مما قد تفعله أعظم المقالات.

خطأ آخر شاع في إعلام الإمارة آنذاك؛ وهو اعتبار الوعظ والإرشاد هما الهدف الأساسي للإعلام، وفي الحقيقة أنها وظيفة هامة، ولكن ليست وحيدة، لأن التوعية السياسية وتبصير الناس بحقائق ما يدور في بلادهم والعالم هي وظيفة وعظو إرشاد تأخذ التوعية الدينية إلىٰ مجال التطبيق العملي في الحياة، وليس فقط المعرفة النظرية)[1].

ثم يستطرد أبو الوليد في وضع حلول لهذا التقصير بناءًا علىٰ آماله في قدرة حركة طالبان علىٰ استعادة الأراضي الأفغانية في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي، حيث يقول: (هناك مجالان

(١) السابق، ١٤١ - ١٤٢.

يصلحان للعمل الفوري والتقدم الإعلامي السريع؛ وهما الإذاعة والصحافة، ومجالان آخران هما موضع خلاف وخطورة، رغم أنهما أعظم تأثيرًا، وهما التلفزيون والإنترنت.

الإذاعة: وهي الوسيلة الأكثر انتشارًا في المجتمع الأفغاني . . . من المتوقع أن تكون الإذاعة هي أهم وسيلة إعلامية في يد حركة طالبان عند عودتها إلىٰ الحكم، وهي وسيلة مؤثر جدًا في المجتمع الأفغاني، وتأتي في صدارة وسائل الإعلام التي تتصلب الناس وتؤثر فيهم، ولكن يلزم رؤية جديدة لوظيفة الإعلام، وتحديد خطة إعلامية للرسالة المطلوب إبلاغها للناس، لتوعيتهم توعية شاملة بأمور الدين والدنيا، والأحداث الداخلية والخارجية، شرحًا وتحليلًا، والتثقيف بالمعارف العامة التي ترتقي بالإدراك العام، بحيث يجار يما يحدث في العالم، متخطيًا عزلتها لقديمة. فلا بد من تقوية الإذاعة المركزية، والتوسع في إنشاء الإذاعات الإقليمية باللغات الشائعة في البلد، وأن يكون مراسلي الإذاعة منتشرين جغرافيًا علىٰ أوسع نطاق، و أن تخاطب الإذاعة الناس مباشرة.

الصحافة: وهي الوسيلة الأقل تأثيرًا في الجمهور الأفغاني نتيجة انتشار الأمية وابتعاد الصحافة تاريخيًا عن قضايا الناس واهتماماتهم لكونها تعكس آراء واهتمامات القلة المثقفة، وتكاد الصحف الأفغانية أن تكون وسيلة حوار أو تنابذ وصراع بين الأجنحة المثقفة داخل المجتمع، وكانت الصحف وسيلة في أيدي الأحزاب والقوىٰ الخارجية التي تؤيدها . . . وضعان يجب

تلافيهما في صحافة ما بعد التحرير؛ الأول: أن تكون الصحافة صوت واحد للحكومة التي في سدة الحكم، الثاني: أن تكون الصحافة صوتًا لمصادر تمويلها الخارجية، فنجد كل صحيفة تدافع عن مصالح دولة خارجية وتعبر عن وجهات نظرها.

هيئة الإعلام والإرشاد: ومن الأفضل تشكيل «هيئة الإعلام والإرشاد» وتكون مستقلة عن الحكومة، ولكنها تكون ممثلة فيه كأحد المشاركين الرئيسيين في المجهود الإعلامي، تلك الهيئة تشرف علىٰ وضع ميثاقي ضبط العمل في مجال الإعلام، ويشرف علىٰ موضوع الالتزام المهني بالميثاق، ويشرف علىٰ ضبط عمليات تمويل الإعلام المستقل. ومن السلطات الممنوحة للمجلس الإعلامي توقيع عقوبات، أو منح التراخيص لمزاولة المهنة، وإصدار الصحف وغيرها من وسائل الإعلام.

كلية الأعلام: وتكملةً للقوة الإعلامية المستنيرة، ينبغي إنشاء كلية إعلام لتدريس علوم هو التدريب علىٰ وسائله المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون، حتىٰ قبل إقرار السياسات بشأن إستخدامه. وكذل كالإنترنت واستخداماته الإعلامية كوسيلة حديثة وفعالة في شتىٰ مناحي الحياة، حتىٰ في السياسة الدولية نفسها.

التوثيق التلفزيوني: لابد من الشروع فورًا «في صباح اليوم التالي للتحرير»، في عملية توثيق كبرىٰ بالصوت والصورة لكل ما يتصل بمرحلة الجهاد ضد الحملة الصليبية الأمريكية الأوروبية، وأخذ شهادات القادة والكوادر والمجاهدين وأفراد الشعب،

وتصوير الأماكن التي دارت عليها الأحداث، وتوثيق رواية الأحداث والمعارك، وتسجيلها من أفواه المشاركين فيها والمقر يبين منها. إن معظم تلك المواد الموثقة سوف يتحول إلىٰ مواد دراسية في الكثير من الكليات الجامعية، وحتىٰ في الأكاديميات العسكرية والأمنية.

مهام إعلامية عاجلة: إن التوثيق واحد من أهم الواجبات التي تتحمل الدولة مسؤوليتها ومعها الإعلاميين الذين خاضوا أهوال الحرب الأخيرة في واحدة من أخطر جبهاتها وهي جبهة الإعلام. وقد دفعوا هم أيضًا ضرائب ثقيلة من الجهد والمعاناة والدم. بشكل عاجل يتم إعداد أفلام مصورة لدروس دينية يلقيها مشاهير العلماء الأفغان باللغات المحلية، وتطوف بها قوافل ثقافية لعرضها في كافة المناطق البعيدة، كما تعرض في أماكن عامة تحددها إدارات المدن، وتعرض عليهم أيضًا أفلامًا وثائقية وتثقيفية مناسبة لضرورات حياتهم. كما أنه من المهم تزويد الجامعات والوزارات بدوائر إنترنت مغلقة تحتوي علىٰ البرامج المعلوماتية اللازمة، ودروسًا ومحاضرات دينية وجهادية، وبرامج وثائقية تناسب تخصصاتهم)[1].

ج- غياب القدرة علىٰ ردع القوة التسليحية للولايات المتحدة.

وقد بسط أبو الوليد الحديث حول قوة الولايات المتحدة من

---

(١) بتصرف من السابق، ١٤٢ - ١٤٥.

أسلحة الدمار الشامل، ورجح احتمالية استخدامها عند الحاجة، وبالتالي غياب أية مقومات لردع الولايات المتحدة[1]. وهي أحد أبرز القضايا التي يتعمد إمرارها في العقل الجهادي دون حسم، إذ أنها تلبس لباس الشرعية العقدية من معاني التوكل واستمداد القوة من الله وصدق اللجوء والاعتماد على الرب سبحانه؛ وهي أمور لا تتعارض مطلقًا مع التخطيط والسعي الجاد الدؤوب لتحصيل أدوات المواجهة الأمثل والأنجع مع العدو.

د- غياب التصور الصحيح للمعركة من قبل طالبان وقيادات القاعدة.

تمثل مفاهيم الثقة بالله، وخزي الله للكافرين، ورؤية النفس التي تنخرط في الممارسة القتالية؛ عقبة في تشكيل تصور استراتيجي عملي، بما تحمله بعض دلالات هذه المفاهيم من أخطاء وتشوهات، يقول أبو الوليد: (لم يتصور الملا محمد عمر حدوث حرب لأي سبب كان، وأنه على الأكثر قد يحدث عدوان محدود يمكن استيعابه، وكان كبار مسئولي الإمارة يضحكون قائلين بأنه ليس في أفغانستان كلها هدفًا تعادل قيمته قيمة صاروخ «كروز» أمريكي واحد. واستخفّت قيادات الإمارة بتحذيرات عربية عمرها سنوات لاتخاذ احتياطات بديهية لحماية المخازن العسكرية، أو لتدريب قوات شبه نظامية، أو لتصنيع ذخائر خفيفة . . . بن لادن

(١) انظر: «صليب فوق سماء قندهار»، مصطفي حامد، ١٧٨ - ١٨٣.

من جهته لم يذهب كثيرًا في تصوراته لأبعد مما ذهب إليه الملا عمر . . . كان التصور المبسط للمواجهة مع أمريكا مخلًا بدرجة مذهلة بما لا يتوافق مع جدة المواجهات السابقة، حتىٰ قبل أحداث سبتمبر. التصور الساذج للمواجهة مع أمريكا نتج عنه استعدادات ساذجة لم تفد شيئًا، فكانت الهزيمة لطالبان والعرب معًا)[1].

هـ- أخطاء عسكرية واستراتيجية.

أولىٰ أبو الوليد معركة الولايات المتحدة وحلفائها ضد إمارة طالبان وتنظيم القاعدة آنذاك اهتمامًا كبيرًا، نظرًا لكثرة الأخطاء التي وقعت فيها الحركة الجهادية في أفغانستان وقتئذ، وتمثلت جملة الأخطاء الاستراتيجية والعسكرية في التالي:

- غياب نظام للدفاع المحلي.
- التقصير في تأمين العاصمة كابول.
- الوضع الاقتصادي المتردي للإمارة.
- الضعف السياسي داخليًا وخارجيًا.
- الضعف الإعلامي = وقد ذكرنا تفصيلات هذا الخطأ سابقًا.
- عدم إدراك تغيرات وتحولات الموقف الباكستاني تجاه الإمارة والتنظيم.

---

(١) السابق، ص ١٨٣، ١٨٤.

و- فقر الخبرة والمعرفة باستخدام وصيانة الأسلحة وصعوبة تحصيلها إبان الفترة الاولىٰ في الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي[1].

ز- انتقاده لقيادات العمل الجهادي الأفغان والعرب علىٰ حد سواء.

انتقد أبو الوليد جل قيادات الجهاد الأفغاني عربًا وأفغانًا، حيث رصد عبر خبرته ومعايشته لواقع العمل الحركي والعسكري جملة من الإشكالات المتجذرة في عقلية القيادات الجهادية بشكل شبه مطرد. ومنها:

- التعصب المذهبي، وتحديدًا ما بين الأحناف والوهابية/ الحنابلة، وكذلك الخلاف السني-الشيعي، وما تبع ذلك من توظيفات سياسية مخابراتية أججت الخلاف والتعصب، وأسهمت في تضييع أوقات ومجهودات الحركة الجهادية.

- لم يسلم أحد من القيادات الجهادية إلا القليل -حسبما يرىٰ أبو الوليد- من تورط في قبول تمويلات خارجية، وهو ما يراه مكملًا للحلف الأمريكي لمواجهة الحراك الجهادي. وقد لقي القيادي الجهادي البارز عبد الرسول سياف القدر الأكبر من اتهامات مصطفي حامد بالعلاقات المشبوهة مع الدول الخليجية[2].

---

(١) انظر: «١٥ طلقة في سبيل الله»، مصطفي حامد، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) السابق، ١٢١ - ١٢٣.

ح- السذاجة السياسية وضعف تقدير فقه الواقع.

يرصد أبو الوليد بعض المؤشرات الدالة -من وجهة نظره- علىٰ ضعف البنية السياسية لعقليات الحركة الإسلامية في أفغانستان، وبالتالي ترتب أخطاء كثيرة مبنية علىٰ ضعف القدرة علىٰ تقييم وتقدير فقه الواقع، وهو الأمر الذي أدىٰ للكثير من الاختراقات من قبل الأجهزة الاستخباراتية المختلفة[1].

ط- غياب العلماء الصادقين الراسخين.

يقول أبو الوليد: (من الأسباب الذاتية غياب العلماء الصادقين، مع ضعف البنيان الفقهي وتخلفه عن مواجهة الواقع الخارجي المعقد، ثم اصطدامه بالموروث الفقهي التاريخي للشعوب العربية والإسلامية، واعتماد الحركة الجهادية علىٰ فقه العصر المملوكي الذي كان مستهجنًا وضعيفًا في عصره فضلًا علىٰ أن يواجه عصرًا مخالفًا تمامًا. كانت هذه سقطةً أساسيةً أدت إلىٰ الوفاة المبكرة للحركة الجهادية الحديثة، وإلىٰ عزلتها وشططها وتخبطها)[2].

٢- أبو مصعب السوري.

هو مصطفي بن عبد القادر بن مصطفي بن حسين بن الشيخ

---

(١) السابق، ١٠١ - ١٠٩.

(٢) السابق، ص ١٣٧.

أحمد المُزَيِّكْ الجاكيري الرفاعي، ولد في مدينة حلب عام ١٣٧٨هـ، ودرس في كلية الهندسة الميكانيكية. التحق بتنظيم «الطليعة المقاتلة» الذي أسسه مروان حديد ﷺ في سوريا، كما تلقىٰ عددًا من الدورات العسكرية بإشراف ضباط فارين من الجيش السوري في الأردن، وضباط من الجيش العراقي والمصري في بغداد والقاهرة، وكانت هذه الدورات ضمن دعم النظامين العراقي والمصري لتنظيم الإخوان المسلمين ضد النظام في سوريا، لخلافات وجدت بين تلك الأنظمة في حينها. تخصص في علم هندسة المتفجرات وحرب عصابات المدن والعمليات الخاصة، وعمل مدربًا في قواعد الجهاز العسكري لتنظيم الإخوان المسلمين في الأردن وفي معسكراته ببغداد. عمل بشكلٍ دؤوبٍ علىٰ إحياء العمل الجهادي في بلاد الشام، وقد قادته تلك المحاولات إلىٰ أفغانستان، حيث تعرف في بيشاور بباكستان علىٰ الشيخ الشهيد عبد الله عزام ﷺ، الذي أقنعه بالانضمام إلىٰ تجمع المجاهدين العرب ليضع خبراته العسكرية في تدريب الوافدين الجدد إلىٰ أفغانستان. التحق بتنظيم القاعدة في بداية تأسيسه، تعرف أبو مصعب خلال الجهاد الأفغاني علىٰ المنظر الجهادي المعروف عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام)، صاحب كتابي «العمدة» و«الجامع»، وكان يتردد عليه دائمًا ويعرض عليه كتاباته. انكب أبو مصعب خلال فترة الجهاد الأفغاني علىٰ دراسة الكتب الشرعية، وخاصة كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، واهتم بتراث

علماء السلف وكتب أئمة الدعوة النجدية، واهتم بمطالعة كتابات الشيخين الشهيدين سيد قطب وعبد الله عزام، وتأثر بهما تأثرًا بالغًا في منهجه وكتاباته. وأثناء وجوده في باكستان وأفغانستان درس في جامعة بيروت العربية، في قسم التاريخ -بالمراسلة- وحصل على شهادة «ليسانس» في التاريخ، من فرع الجامعة في عمان بالأردن. سافر إلى بريطانيا بناءًا على دعوة الشيخ قاري سعيد الجزائري الذي عاد من أفغانستان إلى الجزائر ليشارك في تأسيس «الجماعة الإسلامية المسلحة»، فمكث أبو مصعب في لندن وعمل مع الخلية الإعلامية الداعمة للجهاد الجزائري، وكتب في نشرة «الأنصار» الجزائرية وغيرها من نشرات الجماعات الجهادية التي كانت تصدر من أوروبا خلال تلك الفترة، وخاصة «الفجر» الليبية و«المجاهدون» المصرية. أسس في لندن «مكتب دراسات صراعات العالم الإسلامي»، وقام المكتب بتنفيذ مشروع مقابلتين صحفيتين مع الشيخ أسامة بن لادن ﷾؛ الأولى لصالح القناة التلفزيونية الرابعة في "BBC"، والثانية مع شبكة "CNN". وعلى إثر إعلان حركة طالبان إقامة الإمارة الإسلامية، هاجر السوري إلى أفغانستان، وبايع الملا محمد عمر في قندهار، وشكل مجموعة مجاهدة عملت ميدانيًا مع طالبان، كما عمل مع وزارة الإعلام، وكتب في جريدة «الشريعة» الناطقة الرسمية باسم الإمارة، وشارك في إعداد برامج إذاعة كابل العربية. كما أسس أبو مصعب في أفغانستان «معسكر الغرباء» في قاعدة «قرغة» العسكرية الشهيرة في

كابل بالتعاون مع وزارة دفاع طالبان. أسس أيضًا في أفغانستان «مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام»، وأصدر مجلة «قضايا الظاهرين على الحق»[1].

اعتقلته السلطات الأمريكية في باكستان في عام ٢٠٠٥م ورحلته إلى سوريا ضمن برنامج الترحيل السريلوكالة المخابرات الأمريكية، ويقال: إن السلطات السورية أطلقت سراحه من سجنه بحلب في شباط عام ٢٠١٢، ومازالت الأنباء متضاربة حول مصيره.

لأبي مصعب السوري الكثير من الكتب المعنية برصد وتأريخ الواقع الجهادي بشكل عام، وكذلك الأحداث والوقائع الجهادية البارزة في تاريخ الحركة الجهادية المعاصرة بشكل خاص، حيث نجد عددًا من الرسائل والكتابات والمحاضرات التي تفصل الأحداث في الجزائر وسوريا وأفغانستان، الأمر الذي يعطي مادة تاريخية أقرب ما تكون للحقيقة لأمثال هذه الأحداث المهمة.

ولأننا مشتغلون في هذا المبحث برصد محاور النقد الذي مارسه أبو مصعب للواقع الجهادي؛ فسنرجىء النظر في حيثيات ومنطلقات ومضامين النقد لمكانه في هذه الدراسة.

---

(١) بتصرف من موقع «منبر التوحيد والجهاد»، وهو أحد أهم وأبرز المواقع المعبرة عن أدبيات التيار الجهادي بشكل عام. وانظر: «الحركات الإسلامية في الوطن العربي»، تحرير عبد الغني عماد، (٢/ ٢٤٥٢)، مركز دراسات الوحدة العربية.

في كتابة الأهم والأبرز «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» يذكر أبو مصعب جملة من دوافع وأسباب فكرة المراجعة والتقييم والنقد؛ ليمهد من خلالها للنظر في إيجابيات وسلبيات الفترة التي يتناولها من عمر التجربة الجهادية المعاصرة (١٩٦٣-٢٠٠٣). يقول أبو مصعب:

* الصحوة والجهاديون ومبدأ المراجعة والتقييم

إذا ما عدنا لواقع الصحوة الإسلامية عمومًا بمختلف مدارسها، وإلى التيار الجهادي خصوصًا؛ نجدهم أنهم من أبعد الناس عن هذا المنهج، فقد بدأتُ مساري في الإخوان المسلمين، وعشت في هذه الصحوة وفي تيارها الجهادي خاصة، واحتككت بالكثير من شرائحها واطلعت على كثير من دوائر الصحوة، وخاصة بسبب كثرة أسفاري وعملي في مجال الفكر والكتابة والإعلام، ورأيت وللأسف كيف أن أكبر الكوارث والانتكاسات والأخطاء، وخصوصًا تلك التي أدت إلى فواجع على صعد كثيرة، كانت تبرر ويغلق ملفها بأربع كلمات بكل برود: **(قدر الله وما شاء فعل)**. وهكذا تستخدم هذه الجملة المقدسة، الدالة على أحد أركان الإيمان، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمة حق يراد بها الباطل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

* الصحوة والتيار الجهادي والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح

فالحاجة جد ماسة اليوم لأن يقوم المعنيون من شيوخ الصحوة

الإسلامية وقياداتها، وخاصةً العاملين في جهازها العصبي من الكتاب والمفكرين والعلماء، بتلك المراجعات، وبدراسة الأوضاع المستجدة، وتحليل أسباب الأزمات والنوازل الخارجية والداخلية، ووضع الحلول الناجعة لها بحسب ما يفتح الله عليهم. وفي هذا السياق أضع هذا الفصل من كتابي هذا مساهمة من قلب التيار الجهادي، لتقييم هذا الواقع وأزماته، بحثًا عن الحل.

* معوقات على طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير

فالمعضلة الأولى والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس على البقاء على ما ألفت، والتمسك بالواقع وتراث الماضي، ورفض التغيير والتطوير، ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك. **وأما المعوق الثاني** فهو تقديس الرجال وتقليدهم في منهج الدين والدنيا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم، وتقديس الهياكل والمؤسسات، سواءً كانت قبيلة أو قومًا أو تنظيمًا، على حساب الحق. وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصحوة الإسلامية، وحتى الجهادية، وكم تشكّى منها المصلحون في الدعوة. **وأما المعوق الثالث** فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغير والإصلاح والمراجعة، لأنه سيحمّلهم نتائج أعمالهم، ويغير أحوالًا ستذهب على الأقل بمكاسبهم ومراكزهم، فيستغلون المعوقين السابقين من حب البشر لتقديس الموروث ورموزه، وإلفة النفوس لواقع حالها، وما شبت وشابت عليه؛ ويحشدونهم للدفاع عن مراكزهم التي تكفل استمرار الفشل

والكوارث، إلى أن تغرق السفينة بالكل، وتغمر الأحزان الجميع، إلا القبطان المتشبث بدفة القيادة يدير عجلتها في أعلى المقصورة، أملًا بأن يتسلم قمرة القيادة، غير عابئ بمعظم السفينة التي غمرتها المياه بما حملت من خلق ومتاع[1].

* تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة على واقع التيار الجهادي منذ ١٩٦٠ وإلى أحداث سبتمبر ٢٠٠١

بكل موضوعية وجدية واختصار أقول: لو أننا وضعنا تلك المعوقات جانبًا، لا سيما وقد وصلنا إلى قعر الأزمة و الكوارث كجهاديين بعد سبتمبر، وبكامل التسليم بقضاء الله تعالى والرضا بقدره خيره وشره، ثم التفتنا إلى تحليل واقعنا وأسباب ما جرى لنا ونحن نعتقد أننا نحمل خلاصة دعوة الحق ورايته الصافية . . . إننا نجد في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيصه بكلمتين: **(لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين)**. لقد كانت نتيجة عمل التيار الجهادي وتنظيماته هي الفشل في تحقيق الأهداف، وانكسار المواجهة، وقائمة هائلة من الخسائر وثبوت الفشل في تحقيق الأهداف والعقم في الوسائل، وهذا يقودنا

---

(١) بتصرف من: «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»، عمر عبدالحكيم (أبو مصعب السوري)، (١/ ٨٢٢ - ٨٢٥)، وللكتاب عدة نسخ منشورة على الإنترنت تفاوت فيها بعض الصفحات نظرًا للتعديلات التي تطرأ عليه، دون تغير في صلب مضامين الكتاب.

لسؤال كبير؛ هل يجب علينا أن نعترف بالهزيمة ونستسلم للواقع؟! وأجيب عن ذلك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما، فإني أعتقد أن الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقاق الحق، وأما الهزيمة فهي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحق . . . ولذلك ولعلمي بمنهجية التيار الجهادي وبنيته ومساره، بعد إيماني بموعود الله، أقول باختصار: نعم لقد فشلنا معشر الجهاديين، ولكننا لم ننهزم[1].

وبذلك أبان أبو مصعب الأسباب التي دفعته للتنبيه على الخلل المتفشي في أوساط الجهاديين، فالحاجة للمراجعة وتقييم السوابق وتجويد اللواحق أمور متلازمة تحتاجها حركة تتغيّا، حسب رؤيتها، الإصلاح السياسي والاجتماعي للمجتمعات المسلمة، فكيف ستصلح غيرها وهي مقصرة في سلوك المسار التقويمي لتصحيح ذاتها؟.

* أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (١٩٦٠-٢٠٠٠)

يسعى أبو مصعب هنا لتشريح العوامل التي تسببت في فشل التيارات القتالية/ الجهادية في بلوغ غاياتها ومراداتها، فالرجل يعتقد أن فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه يعود لثلاثة أسباب؛ اثنان خارجيان عنه، وثالث متعلق به. وهذه الأسباب هي:

---

(١) السابق، (١/ ٨٢٥ - ٨٢٦).

أ- شراسة هجمة الأعداء على الجهاديين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ.

ب- الواقع المنكوس للأمة وحالة الخذلان التي أحاطت بالمحاولات الجهادية.

وهذا الواقع المرير يتجلى في ثلاثة ظواهر قاتلة:

- فساد الشريحة العظمى من علماء المسلمين.
- فساد معظم قيادات مدارس الصحوة الإسلامية.
- انغماس أكثرية الشعوب الإسلامية في الفساد وعدم نصرتهم للمجاهدين[1].

ثم يبين أبو مصعب السوري مواطن العطب والخطأ التي رصدها خلال خبراته الجهادية المتنوعة، مع بيان الضرورة المنهجية والتقويمية التي تدفعه لذلك، مع حسن تقسيم لمستويات وأنماط الأخطاء والأعطاب التي وقعت فيها التيارات القتالية خلال الفترة التي حددها أبو مصعب إذ يقول:

*** الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عامًا[2]**

وقد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف

---

(١) السابق، (١/ ٨٢٧ - ٨٢٨).

(٢) بتصرف من السابق، (١/ ٨٣٨ - ٨٤١).

للأسرار والعورات مما قد يفيد العدو؛ وأقول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو، وللأسف، أكثر مما هي معروفه لأبناء الصف ذاته، وهم المعنيين بالإصلاح فيه، فليس فيها كشف سر، لاسيما وأن أكثرها دروس قد مضت ومضى أصحابها . . . ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها، ونذكر الأساليب البالية المستهلكة من أجل تبديلها، كما نذكر تلك المفاهيم الخاطئة، ومعظمها طارئ على التيار الجهادي، كي يتم تصحيحها، وهي معرفةٌ واجبةٌ حتى على قواعد التيار الجهادي فضلًا عن كوادرهم والكبار منهم، وهذا لا يكون همسًا ولا سرًا. إن **عملية النقد الهادف** يجب أن تمارس في جو من الحرية والصدق والمصداقية والمصارحة بين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة . . .إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية، بعد التوكل على الله وطلب العافية والشفاء منه:

أولها: الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن، وكشف العيوب والعلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها، حتى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدواء، ولو كان مرًا، بهمة وصدق وعزيمة على بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاء العمل الجهادي من علله بها، وكذلك على مستوى الصحوة كلها، مدرسة

مدرسة، وجماعة جماعة، وعلى مستوى المسؤولية الكلية عن الصحوة، وبدون هذه الموضوعية لا يتم -والله أعلم- شفاء، لأنها السنن التي لا تحابي أحدًا. وقد يكون لفت النظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجًا، بل قد يكون مرفوضًا إذا ولد شعورًا بنية غير صالحة ... إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخليًا وعلى مستوى كل تجمع ومدرسة. والفقير إليه تعالى -ولله الحمد- واحد من أبناء هذا التيار الجهادي، وهو من بقية من تبقى من جيل قد تحطم وقضى أكثره ... ولطالما كنت، ومازلت، محاميًا ومدافعًا وبكل حماس بل وشراسة أحيانًا عن هذا التيار ورجاله وأعماله، وذلك في مواجهة غارات الخصوم من أعداء هذه المدرسة المباركة (التيار الجهادي)، وفيما كتبت وحاضرت أكبر برهان على ذلك ولله الحمد، ولكني هنا لست في ذاك المقام، **إني هنا في مقام النصيحة الداخلية والنقد البناء لمدرستنا وعملنا وطريقتنا**، بنية استنباط طرق أقرب للصحة والصواب بحسب ما أعتقد، والله الموفق وهو يهدى السبيل.

لقد انتقدنا نحن -معشر الجهاديين- مدارس العمل غير الإسلامي الأخرى ورفضناها، ووقفنا منها موقف الرفض والعداء، ثم انتقدنا كافة مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية، من دعوية وإصلاحية، وإخوانية، وسلفية وغيرها، بدافع التناصح، ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصحوة، لنثبت أن الجهاد هو الحل، أو من باب دفع الغارة المغرضة. الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام

المرآة، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا، قبل أن يحاسبنا الله تعالى على التقصير في المراجعة والعبرة من أنفسنا وغيرنا، وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأمة، ولاسيما من يأتي بعدنا لأننا لم نبصرهم بأخطاء مرحلة مرت، ولم نعطهم دروس تجارب دفعنا زكي الدماء ثمنًا لها.

*** أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مسار وتجارب التيار الجهادي:**

- خطأ في طريقة التفكير وتصوره للمسار (خلل التفكير).
- خطأ وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصحيح (خلل البنية).
- خطأ في أسلوب السير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطريق (خلل الأسلوب).

وهذا ما حصل غالبًا لمعظم تجارب العمل الجهادي وتياره عبر نصف القرن المنصرم تقريبًا، وأشير هنا إلى أني بصدد التقييم العام وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين، ولكني أحاول التقييم معتبرًا التيار الجهادي وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب، وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء التي حصلت في مسار التيار ككل، وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيمًا معينًا أو تجربة معينة قد

تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها، ولكن قد تكون بعض التجارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر. وقد يتصور البعض من (الجهاديين) أنه كان على عافية تامة ولم يتلبس بأي من تلك العلل، ولكنه الحظ العاثر أو كما يرددون كثيرًا (قدر الله وما شاء فعل)، فليحمدوا الله إذن على العافية التامة التي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا. فأنا هنا بصدد عرض أخطاء وإشكالات تلبست بها معظم مدارس التيار الجهادي، ولو كنت بصدد ضرب الأمثلة لبدأت بنفسي والتجارب التي خضتها حتى لا يحزن أحد، ولكني بصدد التعميم للفائدة.

أولًا: أخطاء المنهج والتفكير[1]

من أهم تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجية التي كانت من المعوقات الداخلية للعمل ما يلي:

تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديين

فإن التيار الجهادي مر فكريًا بمرحلتين بشكل عام: المرحلة الفكرية الحركية، ومرحلة الفكر الجهادي السلفي... جعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافر عوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكًا لأفكار تكفيرية تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي. ولا أقول هنا إن الفكر الجهادي قد مزج

(١) بتصرف من السابق، (١/ ٨٤١ - ٨٥١).

بالفكر التكفيري، وإنما أقول إن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفيأو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين، كانت إما شديدةً ومتطرفةً، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير، كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري)، يعتمدون تلك النصوص متكًا لهم،ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم، مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و(الفكر التكفيري) رقيقًا، ومكن الخصوم، من أجهزة الاستخبارات أوعلماء السلطان أوأجهزة إعلام الأنظمة، من جعلها شواهدَ لوصم الجهاديين بالتكفير، وهو كما بينت من أنجح الوسائل التي استخدمت لضرب الجهاديين، فكيف تم ذلك؟! لقد تم ذلك عندما جرى الخلط بين العقيدة السلفية، والمنهج السلفي المعاصر وأساليبه، هذا المنهج الذي اختاره غالبية التيار الجهادي منذ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأول للأفغان العرب، وبين (منهج التيار السلفي المعاصر) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين، ولاسيما من علماء السعودية ومن تربي على مدرستهم، ثم ما تفرع عن هذه المدرسة التي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثاني والثالث من علماء الدعوة الوهابية ... وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التيار السلفي المعاصر على الفكر الجهادي ومسار التيار الجهادي سلبًا وإيجابًا ... وأما سلبًا وهو موضع الفقرة الحالية؛ فقد أدى إلى

لحاق كوادر علمية من التيار السلفي من غير الجهاديين الحركيين بالتيار الجهادي الحركي الذي نشأ على الفكر الإخواني والقطبي، كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطه الأول، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات، وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى والتصدي لعظائم المسائل . . . وهكذا تسرب إلى التيار الجهادي ظاهرة قاتلة ولدت أصلًا في التيار السلفي المعاصر الذي قام على عقيدة صحيحة وفقه أصيل، بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث انتقلت إلى التيار الجهادي . . . وزاد الطينة بلة؛ أن الجهاديين أصلًا هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله. فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السلفية المعاصرة، ففتحت الباب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهية في بعض الأحيان أدت إلى بروز ذلك على شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف، سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة، صيغت بشكل معمم، فأمكن أن يستخدمها جهال التيار الجهادي أو التكفيريين ويجعلوها متكًا للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط، وساعد هذا على هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جدًا بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري.

غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السلفية)

. . . إلا أن هناك لفتة في غاية الأهمية، وقد أسقطها غالب

الذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هذا الزمان من سلفيين جهاديين وغير جهاديين من الذين يحتكرون هذه الراية وهذا المسمى الشريف؛ هذه اللفتة هي أن واقع الأمة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصحابة وما تلا ذلك من خير القرون، بل ولا يشبه واقع معظم التاريخ الإسلاميفضلًا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديين والسلفيين. لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخلافة وما شهده الواقع العربي والإسلامي من التغريب والأزمات الداخلية والخارجية. والأصل أننا معنيون كجهاديين باستيعاب الأمة وجمهور سواد الأمة، وتوجيههم لأداء فريضة الجهاد ضد مختلف أنواع الصائلين من الأعداء الخارجيين وأذنابهم من الحكومات الطاغوتية . . . إلا أن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم جروا الوسط الجهادي للدخول في حالة من الشجار مع تلك الأوساط الإسلامية والمتدينة،واشترطوا شروطًا تعتبر قياسًا لأحوالهم تعجيزية، وغدت عائقًا حقيقيًا في التعامل معهم ودعوتهم للجهاد، وقد لعب هذا دورًا كبيرًا في إفقاد التيار الجهادي شعبيته، وجعله نخبويًا، وأدخلت كثيرًا من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الولاء والبراء على كثير من المسلمين . . . ولكن كثيرًا من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك، وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كان يمكن أن تدفع بالأمة قدمًا بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجهاد، وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه

الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الذي اتسم بكثير من الجمود مع النصوص وتطبيقها في غير واقعها.

أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء والبراء والحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة . . . نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كمًا، وأحادية الطرح نوعًا، فالكتب معدودة، والنشرات محدودة، ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء، وضخامة التضحيات وكثرة التجارب . . . ومع أن النوازل كثيرة، والمجالات السياسية الشرعية والسياسية الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة، وكذلك في مجالات الفقه وأحكام الجهاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السياسة والإدارة والتربية والثقافة العامة التي تلزم المجاهد، ومناقشة مسائل الأمة الحاضرة والمستقبلة، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربي والإسلامي؛ ولكن التيار الجهادي عمومًا تميز بقلة كتابه، وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين على الكتابة بالعمل الميداني، وقد حالت المطاردات الأمنية وظروف عدم الاستقرار، بينهم وبين العطاء في هذا المجال. ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديين إما على الكتب العسكرية ومناهج

التدريب والعمل، وإما على ما أشرت إليه من مسائل الحاكمية وقضايا الولاء والبراء.

ضعف المادة التربوية في مناهج التيار الجهادي

يعتبر مجال التربية لقواعد التيار الجهادي من أكبر المجالات التي اعتراها النقص وانخفاض المستوى، خصوصًا بعد التسعينات، ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنية . . . وعلى عكس الجيل الأول والثاني من الجهاديين الذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوً لا بأس به من التربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام ١٩٦٥-١٩٨٥ تقريبًا؛ لم تسعف الظروف الجهاديين بعد ذلك من تطبيق برامج تربوية شاملة إلا في نطاق محدود، والملاحظ أيضًا أن اعتماد التيار الجهاد في التربية لم يكن على مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية؛ وإنما على كتب التراث، أو على بعض كتب مدارس الصحوة الأخرى، والتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهادي لكثير من المسائل. وبعد ١٩٨٥ غلب على الأوساط الجهادية من المعسكرات والتجمعات وأماكن النشاط مناهج تربوية ذات بعدين كما أسلفت، إما عسكري في حدود المواد العسكرية والدورات التدريبية القتالية، وإما بعض المواد في مسائل الحاكمية والولاء والبراء والعقيدة والمنهج السلفي. وقد لاحظت خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه، وقد زهد بها كثير من الجهاديين

في هذه المرحلة ١٩٩٦-٢٠٠١ رغم توفر الإمكانية والمعسكرات والملاذ الآمن بل والمرفه جدًا في كنف طالبان قياسًا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة، إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكرية وأقبلوا عليها ولم يعطوا الجوانب التربوية الأخرى الأهمية التي تستأهلها، ولذلك انعكس هذا على تلك المرحلة بكثير من المشاكل والأزمات الداخلية التي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السلوك والأخلاق العامة.

وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص، مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات، وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوًى ضحل جِدًا من المواصفات في هذه المجالات، وانعكست الضغوط النفسية وآثار المطاردات الأمنية ومشاكل الواقع العام للعرب والمسلمين عمومًا، والمشاكل الداخلية في أوساط الصحوة الإسلامية ومنابذة قياداتها للجهاديين وانغماس أكثرهم في ركاب علماء السلاطين وأجهزة الطواغيت. أدى كل ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديين، مع غياب منهج التربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة، وغياب النماذج التي طالما تحدثت عنها كتب الرقائق وقصص السلف والخلف من الصالحين في مجالات العبادة والنسك وحسن الخلق ولين الجانب مع المسلمين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم. فقد كانت كثير من

الأجواء مشحونة. وتميز العديد من الجهاديين بسلوك أقرب إلى الحالة العصابية منه إلى السلوك المفترض بالمجاهد المؤهل التربي علمًا وخلقًا وعبادةً وسلوكًا.

غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها، وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا، والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين، وحقوقهم وطرق التعامل معهم ... وقد تميزت الصحوة الإسلامية عمومًا، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع، بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام وعدم إدراك العصر التي هي فيه، وفي الوقت الذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإسلامية من مدرسة الصحوة السياسية وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السياسية، تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع، فإن باقي مدارس الصحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسلفية وكذلك المدرسة الجهادية؛ تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع. فأما المدارس اللاسياسية فلانعزالها عن عيش الواقع، وأما التيار الجهادي فلأن غالبيته من قطاع الشباب الذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظروف الأمنية الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحضارية وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة

في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات ... ونظرًا لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عمومًا، وضيق مجالات الشورى والاستفاده من الكوادر، وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي، وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية والمصيرية.

عدم تبني مفهوم جهاد الصائل الخارجي والدخول في دوامة مواجهة الأنظمة

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة. ثم حمل على تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وحمله على الأنظمة المرتدية الحاكمة، مما أدى للدخول في صراعات حدد العدو طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأمة دون طائل ولا نتيجة مرجوة ... ولكن جمود المناهج والفهم في معظم التيار الجهادي لم يسمح بتلك النقلة التي توجب إعطاء فقه مواجهة الصائل حقه المتوجب، وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الذين يلونكم من الكفار، وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديين، وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءًا في فهم تفسير النص، أو في فهم

السنة الحركية التي تبينه من مقتضى حروب الرسول ﷺ وتوجهه لحرب الروم وحوله من الكفار من هو أقرب منهم، وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي، وانعكس هذا الجمود المنهجي على ممانعة أكثر الجهاديين في الاتجاه نحو الجهاد الأممي وعولمة المواجهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديين أواخر القرن العشرين.

عدم القدرة على تحديد المضمون الشرعي والحركي لعدد من المفاهيم الأساسية

طرح المشروع الجهادي المعاصر عددًا من المصطلحات والمسميات الأساسية التي أعتمد عليها في البناء التنظيمي والسلوك الحركي للجماعات الجهادية، ولكن هذا أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها، ومن ذلك:

الجماعة المجاهدة: ما هي؟ وما هو تعريفها؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المجاهدة وغير المجاهدة؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات وشرعية وجودها؟

الإمارة والشورى والقرارات: ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة؟ والشورى وطبيعتها وإلزاميتها؟ وهل هي إمارة خاصة أم عامة؟

البيعة والسمع والطاعة: ما هي طبيعة هذه البيعة؟ وما فحوى عقدها؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل؟ وبناءً على ماذا؟

وماذا يترتب على نقضها؟ ومتى يكون مشروعًا ومتى يحرم؟

إلى آخر تلك المسائل التي لم يتم تحديدها في التيار الجهادي بدقة واختلفت من تنظيم لآخر.

ثانيًا: أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي[1]

الإشكالية الكبرى التي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العالمية على مكافحة الإرهاب، وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهادي مع وجود تلك المشكلة البنيوية، وهي مشكلة أن كل التنظيمات والجماعات الجهادية بنت بناءها على أساس أنها تنظيمات (سرية - هرمية - قطرية)

المشاكل التي تأتت عن السرية

. . . ولكني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى التي تأتّت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقال مستويات المواجهة الأمنية إلى مستوٍ توحشت فيه الأنظمة المرتدة ومن ورائها من قوى الكفر

(١) بتصرف من السابق، (١/ ٨٥١ - ٨٥٧).

العالمية بطريقة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضربًا من الإصرار على الفشل العبثي في نهاية المطاف. فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعات المجاهدة في السرية، فقد ولد هذا لها إشكاليات في التربية والإعداد وفي التجنيد المتمدد، وفي ضعف الدعاية العامة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء . . . وقد تكررت هذه المأساة في كل التجارب الجهادية، إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التنظيمات إلى الاعتماد على الكوادر الجديدة غير المؤهلة تربويًا، وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتالية ميدانيًا وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثم هويتها، لعدم استمرار مشروع التربية. ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطريقة بكاملها، ولكن للأسف لم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة!

المشاكل التي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنية

إن هذا الأسلوب في البناء الحركي يتمتع بصفة القوة من حيث الإحكام والسيطرة، لأن الأوامر تصدر والبرامج تقرر، وتنزل من الأعلى للأسفل، ثم تتابع بعض الطريقة، وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة. ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضعف الأمني، وبعدم صموده للمواجهات الأمنية الاستخباراتية خصوصًا بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحكومات الطاغوتية ثم قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهادية

استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنفسي، وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير لاستخراج المعلومات. وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها، أو بالإضافة عليها لإرضاء الذئاب الضارية من الجلادين المتحفزين لانتزاع ذرات المعلومات من قعر ذاكرة المعتقل، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر، وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك . . . وهكذا صار الهرم التنظيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ، الذي يحتوي سائلًا سيؤدي ثقبه من أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر. ولقد حاولت التنظيمات الجهادية التي خاضت مواجهات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية، حيث يستقل العناصر العاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عبر وسائل الاتصالات معالم الهرم الرئيس مرة ثانية، ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد . . . ثم اضطرت التنظيمات الجهادية مثلها مثل كل العصابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة، حيث وفرت لها بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدول ملاذًا آمنًا أدارت منه أعمالها، ولكن التعاون الأمني كما سبق وبينا، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدولي، ضيق ثم ألغى تلك الملاذات، ولم تحل المشكلة الهرمية مع عمليات البطش والتعذيب والخطف والتسليم، وأدت إلى تآكل التنظيمات للأسباب المجتمعة

مما وفر في النهاية كل عوامل الاضمحلال والتفكك.

مشكلة القطرية

ولكن التنظيمات الجهادية رسمت عملها في حدود مواجهة الطاغوت الخاص بها ضمن السياح الذي نصبه سيكس وبيكو مطلع القرن العشرين. وهكذا وجدت معظم التنظيمات الجهادية نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عصابات متكاملة في غالب البلدان.

مشكلة القيادات غير الميدانية

لقد شهدت بنفسي عددًا من التجارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهادية وكانت (الثورة الجهادية في سوريا) التي عايشتها من الداخل نموذجًا على هذه المشكلة. فقد استقرت القيادة السياسية للإخوان المسلمين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا، وراحت تضع الخطط والبرامج لواقع سياسي وعسكري وأمني داخل سوريا وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير، وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ، ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف، ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظين؛ البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج. والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

مشكلة التمويل

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال،

ودخول الجماعات الجهادية للعمل تحت شعار لله يا محسنين، ولكن المحصلة أن برامج تجفيف المنابع، وعدم انتظام تلك المنابع حتى قبل قيام هذه البرامج، سار بالتنظيمات التي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليًا، وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للفشل.

مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني

فقد اعتمدت أكثر التنظيمات الجهادية مبدأ الشورى غير الملزمة، حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع على آراء قياداته ومعاونيه، واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما . . . وقد تلافت بعض التنظيمات الجهادية هذه الإشكاليات بجعل الشورى على نوعين؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجية العامة والهامة. وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات، ولكن كل هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنية وتشرد قيادات التنظيمات الجهادية . . . ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى، وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة، متوكلين على الله في ظروف بالغة المأسوية، وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات الضرورات الأمر الواقع.

مشكلة ضعف الأمن الداخلي في التيار الجهادي

وكان على رأس تلك الإشكالات؛ انعدام الحسن الأمني، وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب. وقد لاحظت أن معظم المجاهدين الأبطال، الذين عرفت الكثيرين منهم، ورأيت أداءهم الرائع في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان، كانوا من أفشل العناصر أداءًا عندما أوكل إليهم مهام سرية، أو اضطروا للحركة الأمنية بعد خروجهم لعالم المطاردات. فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة، وعدم دقة الحركة، وعدم احترام أمن الاتصالات المختلفة من الحركة والهواتف والفاكسات والإنترنت من بعد، وسوى ذلك كانت أمراضًا عضالًا لم يمكن حلها ودمرت كثير من الخلايا على مر مختلف التجارب.

ثالثًا: أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة[1]

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء على التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تعالى أعلم، فمن ذلك:

١- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخلية وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحيانًا.

---

(١) بتصرف من السابق، (١/ ٨٥٧، ٨٥٨).

٢- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصحوة الإسلامية أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوناتها السياسية أو الاجتماعية دون ضرورة لذلك.

٣- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحكومات الأمنية تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل، والعدل والظالم، هو من مخزون الأمة.

٤- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمواجهة يمكن حشد الناس عليها ضد الحكومات التي يواجهها الجهاديون، واقتصر الموضوع على تفاصيل الحاكمية وشعاراتها، وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح وتصدي علماء السلطان له ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم.

٥- أسلوب خطاب أكثر الجهاديين لم يكن شعبيًا، فقد كانت وسائل الاتصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعًا وكمًا، فقد اعتمد الجهاديون على المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات محدودة جدًا، ولم يكن لكثير من الجماعات الجهادية رسالة إعلامية أصلًا.

والناظر في سردية رصد الأخطاء وتقاسيمها وكشف جذورها وقدر الصراحة التي تقدم بها أبو مصعب؛ يجد قدرًا من النضوج النقدي لديه، بل قد لا تجد في الوسط الجهادي أحدًا ممن كتبوا في نقد الذات الجهادية مثل أبو مصعب في هذا القدر من المكاشفة

والوضوح، مع الأخذ في الاعتبار أننا قد نختلف أو نتفق مع المضامين، لكن يبقى التقييم المنهجي الجيد لما يطرحه الرجل.

وفي موضع آخر؛ يشير أبو مصعب إلى المشكلات الفكرية المنهجية التي توجد داخل جيله حيث يقول: (والسؤال الخطير والموضوع الذي نريد لفت النظر إليه في هذه المقالة هو: ما هو الزاد الفكري الذي يجب أن نقدمه نحن أبناء الجيل الثاني من التيار الجهادي -ولا سيما أصحاب الأقلام والكتاب- في مختلف مجالات مواضيع السياسة الشرعية، والمادة التربوية، وفقه الواقع، وخاصة على مستوى التنظير والتخطيط للمستقبل، من خلال تسجيل التجارب الماضية وتحليلها واستخلاص الدروس منها، وتحديد الثوابت، وطرح المتغيرات، وتطوير أساليب العمل على مستوى الفكر والمنهج والدعوة والإعلام وأسلوب مخاطبة المسلمين وتعليمهم طرق مواجهة أعدائهم؟

فإن الناظر في واقع التيار الجهادي -منذ التسعينات وإلى الآن- من هذا المنظور؛ يحس بالفجوة الهائلة والخطيرة التي يجب أن يستشعرها بقية الكوادر والكتاب والرموز والعلماء وأصحاب الخبرة والتجارب السابقة في هذا التيار، فلقد تسلمنا نحن -أبناء الجيل الثاني- من أسلافنا -سيد ومروان وعودة والمودودي وأقرانهم- تراثًا أساسيًا بنينا عليه تفكيرنا وأعمالنا، ثم قدمنا ما تزودنا به ومن صحبنا في مرحلة الثمانينات وأول التسعينات، فعلى ماذا سيبني الجيل القادم؟ أين هي التجارب المسجلة، تؤرخ لتلك

الأمجاد والملاحم والانتصارات والانتكاسات والنجاحات والإخفاقات؟ لنستخلص منها العبرة، حتى لا يكرر السائرون على خطأنا وخطأ أسلافنا الأخيار، تجاربًا مرت، ثم يعيدون دفع الثمن. أين هي الدراسات والتوجيهات والإبداعات، لتخط لهم ثوابت ومتغيرات حركتهم المقبلة؟ أين هي الأصول المنهجية للدعوة العالمية للجهاد التي بدأنا ندعو إليها؟ وأين أسسها النظرية التي يجب أن يتم عليها إعادة البناء واستئناف المسير؟ أين هي البرامج التربوية المتكاملة المستخلصة من التجارب والبرامج في مجالات السلوك والأخلاق والآداب، ومجال العلوم الشرعية، ولا سيما فقه الحركة وفقه الجهاد والسياسة الشرعية؟ وأين هي خلاصة تحليلاتنا وفهمنا لواقع وحاضر وماضي المسلمين وحركتهم المعاصرة؟ لينطلق الجيل القادم على فهم وبصيرة. أين هي البرامج العسكرية المختصرة والمرتبة، التي تمكن من يريد الإعداد في بلاده وضمن ظروفه وإمكاناته من أن يستطيع ذلك؟ بحيث لو قام لهم مراكز للتدريب سرًا في البيوت، أو في معسكرات صغيرة سرية، أو لو أتيح لهم فرصة إقامة معسكرات في أماكن أخرى؛ أن يجدوا المنهج معدًا لهم فيكملوا من حيث انتهينا)[1].

ثم استطرد أبو مصعب في طرح أشكال النقص والتشوه في

(١) «الفجوة الفكرية المنهجية في التيار الجهادي الحالي»، أبو مصعب السوري، مجلة قضايا الظاهرين على الحق، العدد (٢)، ذو الحجة ١٤٢١هـ، منشور على موقع «منبر التوحيد والجهاد».

شتى الأبواب الشرعية والسياسية والفكرية. والملفت هنا هو عمق انتقادات الرجل للحالة الجهادية التي قصدها، وكذا استيعابه لجل المشكلات الحقيقية التي تطال الحركة الإسلامية ككل، والجهادية منها بالتحديد، إلا أننا قد نلحظ عمومية في وصف الانتقادات، وغيابًا لتفاصيلها وآليات تجاوزها بشكل دقيق. قد يشفع لأبي مصعب كثرة ترحاله وتنقله، وهو دأب الحركات القتالية، إلا أنها تظل نقطة سلبية ينبغي التنبه لها.

أما على مستوى النقد الذاتي الخاص بأحداث وتجارب معينة؛ فقد خط أبو مصعب للتجربة السورية قراءة نقدية خاصة ولكل المشاركين فيها، وهي إحدى مميزات الطرح النقدي لأبي مصعب، إذ تتسم بقدر جيد من استيعاب قطاع لا بأس به من الأحداث والتجارب الجهادية التي عايشها، مع قدر يسير من التحيز، وهو مما يحمد بشكل عام في الكتابات النابعة من داخل التيار.

ملاحظات حول التجربة السورية ككل[1]

أولا: غياب الاستراتيجية والتخطيط الشامل المسبق.

ثانيا: تشرذم المخلصين المجاهدين في تنظيمات شتىٰ وولاءات شتىٰ.

---

(١) «ملاحظات حول التجربة الجهادية في سوريا»، أبو مصعب السوري، بحث منشور علىٰ موقع «منبر التوحيد والجهاد».

ثالثًا: العجز عن إيضاح نظرية جهادية ثورية وجملة أهداف واضحة علىٰ الصعيد الإيديولوجي.

رابعًا: ضحالة الوعي السياسي والثوري وانخفاض مستوىٰ العلم الشرعي إجمالًا.

خامسًا: الاعتماد علىٰ الكم بعد أن ذهبت الضربة الأولىٰ بالنوعيات.

سادسًا: ضعف الإعلام الداخلي والخارجي للمجاهدين.

سابعًا: انتظار المجاهدين الدعم من جهات خارجية باستمرار وعدم الاعتماد علىٰ النفس.

ثامنًا: التورط في شكل من أشكال حرب العصابات طويلة الأمد لا يناسب البلد.

تاسعًا: الانتقال للخارج فترة طويلة وخسارة الجماهير وإمدادها وتدني المستوىٰ الديني والثوري لدىٰ الأفراد.

عاشرًا: عدم الإفادة من التجارب الإسلامية والعالمية لحروب العصابات.

أحد عشر: التعامل مع الأنظمة كسد دائم.

اثني عشر: العمل العلني في الخارج.

ثلاثة عشر: قصور العمل العسكري الخارجي وفقدان القدرة علىٰ ردع العدو وأصدقائه.

أربعة عشر: غياب أي تصور عن مرحلة ما بعد سقوط

النظام لو حصل بفعلنا أو فعل غيرنا.

خمسة عشر: عدم الالتفاف حول العلماء المخلصين الثقاة والإفادة منهم.

ستة عشر: عدم الإفادة من كافة القطاعات الإسلامية في البلد علىٰ صعيد التعبئة في الثورة ولاسيما عشائر البادية والأكراد.

سبعة عشر: عدم إمكانية تحويل التنظيمات الإسلامية الدعوية المدنية إلىٰ تنظيمات عسكرية قادرة علىٰ المقاومة والدفاع عن النفس.

ملاحظات حول تجربة الطليعة المقاتلة[1]

١) العمل دون الاعتماد علىٰ تخطيط استراتيجي مسبق علىٰ تفجير الأوضاع، والعجز عن إمكانية التقاط الأنفاس وإعداد مثل هذا المخطط الاستراتيجي الشامل من خلال العمل، والوقوع فريسة جر الأحداث لصانعها.

٢) عدم وجود توجه سياسي إعلامي خاص إلىٰ جانب الجهاز العسكري في القيادة الطليعية فتح الباب أما ضياع الجهود العسكرية كلها وعدم الإفادة منها كما يجب، بل وسمح للآخرين الإفادة منها و(تحويلها) لحسابهم الخاص.

٣) عدم التمكن من بلورة الفكر الجهادي الخاص وتقديمه لقواعد المجاهدة والجماهير المؤيدة في الداخل والخارج كفكر

---

(١) السابق.

واضح مستقل، تلخصه مجموعة من الأهداف والشعارات. فلم يستطع الناس أن يفهموا من هي الطليعة؟ وماذا تريد؟ وماذا يحركها؟ كما يجب.

٤) بسبب غياب الاستراتيجية تولدت إحدىٰ أهم المقاتل العسكرية وهي اللامركزية في إدارة العمل، وقد استتب هذا كأمر واقع وشبه مقبول، فأدار مجاهدو حلب قتالهم في حلب، ومجاهدو حماة في حماة وأهل دمشق في دمشق وهكذا، مما أفقدها الإفادة من التنسيق وإرهاق القوة المعادية، لقد تحولت هذه اللامركزية فيما بعد من أيام الأزمة إلىٰ اللامركزية علىٰ مستوىٰ الأجنحة بل والمجموعات في المدينة الواحدة.

٥) عدم القدرة علىٰ تطوير الأسلوب القتالي والعسكري عمومًا: هذا الأسلوب الذي بدأ ناجحًا وأعطىٰ ثمارًا طيبة ونعني أسلوب قتال الشوارع وحرب المدن ونظام المخابئ والمواعيد داخل المدينة وطريقة التنقلات والتسليح، ولكنه غدا بعد بعض الاعتقالات وتمرس أجهزة قمح السلطة فيه أسلوبًا قديمًا بحاجة إلىٰ تطوير، وأدىٰ الإصرار عليه إلىٰ نكسات عسكرية مؤسفة.

٦) الاعتماد علىٰ مساعدات الخارج من الأنظمة ولا سيما العراق ومن الإسلاميين لا سيما الإخوان أدىٰ لقطعهم في أواخر ١٩٨٠. والتسبب في دمارهم ثم التلاعب بهم في مرحلة العمل في الخارج كما مرّ معنا.

٧) عدم القدرة علىٰ تعويض الكوادر المتربية والمدربة التي

ذهبت في الجولة الأولىٰ من الصدام بسبب عدم وجود برنامج مختص بهذا الأمر، وبفعل تسارع الأحداث بوتيرة مرعبة أفقدتهم القدرة علىٰ أي تطوير، ولم يفد فتح باب التنظيم علىٰ مصراعيه في تعويض هذا الكادر بل علىٰ العكس حمل من الأزمات والنكسات أكثر مما حمل من الفوائد وقد مرّ معنا.

٨) تحريك دمشق بعناصر غير دمشقية: من حلب وحماة -وقد أثبت هذا فشله ويساعد النظام كثيرًا في اكتشاف الغرباء من الشباب -وقد أزعج هذا التدخل -وكذلك تدخل الإخوان المشابه قيادة دمشق الجهادية وأوقعها في المشاكل والأزمات فضلا عن فشل التدخل عسكريا.

٩) جنوح الطليعة في آخر أيامها بفعل الحصار الإخواني والعراقي وتآمر كل الجهات عليها وما لاقته من الظلم والعسف في الخارج إلىٰ التطرف، هذا التطرف أصبح سمتًا ملازمًا لكل من ينتمي إلىٰ الطليعة ولقد لعب الإعلام الإخواني دورًا رئيسيًا في تضخيمه وتكبيره لاستخدامه ضدها، إلا أن الطليعة عاشت شيئا من هذا في الخارج، ولعل أبعد ما أوغلت فيه هو القناعة التي توصل إليها عدنان عقلة وبعض إخوانه من كفر الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية من أفتىٰ بالتحالف ورضي به طرحًا وبرنامجًا، وبكفر كل من قامت الحجة عليه وبقي علىٰ ولائه للقيادة وحلفها!

١٠) من التجارب والدروس الرائعة لتجربة الطليعة الجهادية نجاح القدوة الحسنة والمثل الأعلىٰ الذي قدمته قيادتها في القدرة

علىٰ التضحية والاستشهاد والإقدام أما عناصرها، مما جعلها محبوبة من قواعدها مفدية بالروح، مطاعة في كل ما تأمر به لأنها شريكة في تحمل التبعات بل وأول من يتحملها.

ولم يفت أبو مصعب أن يؤرخ وينقد أحد أهم مكونات مسار التجربة السورية إبان تجربة الطليعة المقاتلة، إذ يرصد أبو مصعب جملة من الملاحظات **حول التجربة الجهادية للإخوان المسلمين**[1].

١) العمل دون مخطط استراتيجي مسبق في الداخل والخارج.

٢) اعتماد الهيكلية السابقة للعمل الدعوي السلمي لإدارة العمل الحربي والانتقال إلىٰ إدارة تلك الحرب عبر هياكل ضخمة ذات بنية مدنية.

٣) أثبت العمل العسكري للعصابات من الخارج للداخل فشله عسكريًا في التجربة السورية كما أثبت فشله في كثير من ثورات وتجارب الحروب.

٤) من الدروس الهامة التي يمكن الإفادة منها من تجربة الإخوان هو مآل ثورة ترجح عملها السياسي والإعلامي علىٰ عملها العسكري وتتخذه ميدانًا لصب جهودها الرئيسية.

٥) المفاجئة بالأحداث واندلاعها.

٦) فشل التربية والإعداد لتلك الحشود طيلة سنتين.

---

(١) السابق.

٧) درس مهم من دروس تجربة الإخوان هو دراسة المزيج العجيب وغير المجانس الذي تراكم في قواعدهم.

٨) تركيز المسؤوليات بأيدي قليلة ونشوء محاور القوىٰ حول الأشخاص لا حول فكر معين.

٩) انقسام القواعد الإخوانية بصورة عامة إلىٰ فئتين مختلفتي الحياة متباعدتي التصورات.

١٠) أثبتت تجربة الإخوان فشل محاولات الإصلاح المتتالية علىٰ الصعيد العسكري والسياسي من الداخل.

١١) أعطت قيادة الإخوان مثالًا سيئا في القدوة علىٰ صعيد التضحية والإقدام بنفسها وأولادها.

١٢) درس التحالف: لقد تورطت قيادة الإخوان وورطت الحركة الإسلامية الممثلة بها في التحالف السياسي بينها وبين الأحزاب العلمانية المرتدة الأخرىٰ ولا سيما بعث العراق وبقايا الناصرية، والقوميين العرب من الهياكل البائدة التي لا وزن لها ولا نفوذ في الساحة الحقيقية ولقد كان هذا الحلف بالنسبة للإخوان مصيبةً علىٰ صعيد المصلحة الشرعية والسياسية، فمن الناحية الشرعية كان فرضه علىٰ القواعد والعلماء علىٰ حد سواء كأمر واقع أقدم عليه أشخاص معينون[1]، ولم تقدم القيادة إلىٰ الآن وعلىٰ

(١) كان طليعتهم: عدنان سعد الدين، أبو أنس علىٰ بيانوني، عبد الله طنطاوي، سعيد حوىٰ فهم المسؤولون المباشرون عن قيامه. (تعليق لأبي مصعب السوري).

الرغم من مرور أكثر من خمسة أعوام عليه دليلها الشرعي الصحيح في إقدامها علىٰ مثل هذا الحلف مع المرتدين لا سيما في وعدهم بالمشاركة بالحكم بعد إسقاط أسد في حين تراكمت البحوث الشرعية العديدة والفتاوىٰ الشهيرة تنفي حِلَّة هذا المشروع. إلا أن الفاجعة كانت في أن التحالف لم يكن في مصلحة الجماعة سياسيًا حتىٰ! فقد كان باختصار استبدالًا لأبناء الجماعة وقاعدتها بصديق حلف مزعوم! فبسبب هذا الحلف هجر العمل كثير من الشباب لعدم استعدادهم للعمل تحت رايته بعد أن فشل الإخوان في إقناعهم، وهم الذين تربوا علىٰ أفكار سيد والمودودي ونشأوا عليها في المفاصلة والحاكمية وتكفير مثل هؤلاء المارقين العلمانيين.

١٣) عدم التمكن من الإفادة من الكوادر الإخوانية العالمية: التي كان الكثير منها مستعدا لدخول المعركة بإخلاص وتضحية إلىٰ جانب الإخوة السوريين.

١٤) ومما يجب قوله من تجربة الإخوان إنه -وبصرف النظر عن النوايا (ولكل ما نرىٰ)- فقد لعب الإخوان المسلمون دورًا إيجابيًا في عيالة كثير من العوائل والمتضررين والأفراد وتقديم الدعم المادي والوثائقي والسياسي لهم وصيانتهم من الضياع: كما تلقت بعض الأسر المنكوبة في الداخل مساعدة مادية من المال الذي تراكم تحت يد القيادة،وكان هذا من القليل الإيجابي الذي قدمته قيادة الإخوان المسلمين في هذه التجربة السالفة المريرة.

ويسهب أبو مصعب في كشف ورصد ملاحظاته حول التجربة الجهادية، لكن بالنسبة للقيادة الميدانية للمقتالين والضباط في الداخل[1]

يجدر القول: إنه ليس لدينا معلومات كافية متوفرة عن تجربة إخوتنا أولئك رحمهم الله، قليل منهم من بقي حيًا، والأقل من كتب له الخروج ليروي ويدون ويشرح تجربتهم المهمة، ولكن بإمكاننا وحسب ما وصل من صحيح أخبارهم أن نحمل عددًا من العبر والدروس:

١) فشل وجود قيادتين لعمل جهادي إحداهما سياسية إعلامية في الخارج تملك حق الفرار والتخطيط والأخرىٰ ميدانية عسكرية تعيش واقعها المرّ وترتبط مع الخارج بالطاعة والحاجة.

٢) فشل عملية الصدام المكشوف مع جيش السلطة المتفوق عددًا وعدةً بشكل غير منطقي -ولقد كان صدام الإخوة اضطرار لا اختيارا- ولقد دفعوا ثمن الدرس وعلينا الإفادة منه.

٣) فشل المراهنة علىٰ انشقاق الجيش، علىٰ الرغم من أن الغالبية الساحقة من جنوده هم من أبناء المسلمين، ولكن تركيبة القيادة من ضباط وصف ضباط كانت من الغالبية النصيرية، كما أن تفشي الجهل وعدم الوعي في صفوف الجنود بطبيعة المعركة، جعل أبناء المسلمين يقتلون أهليهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وبأوامر الكفار النصيريين، وهذا واقع مؤسف ودرس عميق.

---

(١) السابق.

٤) فشل الاعتماد علىٰ دعم الخارج، الذي دفع المجاهدون ثمنه فادحًا، حيث لم يستطع الخارج أن يمدهم بأي عون في اللحظة الحرجة وراحوا ضحيةَ هذا الخطأ الكبير بالاعتماد علىٰ سند لا يعرفونه تمامًا وليس بملك أيديهم.

٥) فشل الاعتماد علىٰ دعم نظام مجاور (العراق) خذلهم وتنكر لوعوده مع عدنان عقلة حيث لم يمده بما وعده وترك إخوة الداخل لمصيرهم في اللحظة الحرجة.

٦) أثبتت أحداث حماة إمكانية تعبئة الأهالي وتسليحهم وحسن تجاوبهم مع نداء الجهاد، وقد دفع الأهالي المسلمون الثمن فادحًا، فراح منهم خمسة وثلاثون ألف قتيل، وطال الخراب نصف المدينة، ناهيك عن آلاف المعتقلين وعشرات الألوف من الأرامل واليتامىٰ، ولذلك أصبحوا أكثر توجفًا من مثل هذا التعاطف، وهذا درس يستأهل البحث.

٧) ضعف الدولة في حال الصدام الموسع، فقد أضاعت الدولة صوابها خلال الأيام الأولىٰ، وأفرغت مدنًا هامة مثل حلب وحمص من القوات الحكومية التي نقلت حتىٰ تجابه حماة المتنفضة، وكان بالإمكان السيطرة علىٰ تلك المواقع الهامة لو توفر وجود بعض المجاهدين بقدر معقول هناك، وهذه فائدة استراتيجية هامة.

٨) بعد فشل الانقلاب الإسلامي -المشارك بالحسم- أصبح من الصعوبة بمكان الاعتماد علىٰ انقلاب عسكري إسلامي انطلاقًا من الجيش، فقد صفيت كل الكوادر العاملة الفعالة من الضباط

المسلمين تقريبًا علىٰ مدىٰ أكثر من عشرين عاما من حكم البعث والنصيرين في سوريا، هذه مأساة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وكانت خاتمة المطاف في خسائرنا العسكرية في ذلك الانقلاب.

٩) ثبت أن الإعلام العالمي والعربي معادٍ لقضيتنا، وأكبر دليل علىٰ ذلك السكوت العجيب عن أحداث بحجم أحداث حماة، وهذا درس آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

وقد فصل أبو مصعب السوري في عرض وقائع التجارب الجهادية المعاصرة، حيث أفرد أبحاثًا ومحاضرات ومقالات لكل تجربة علىٰ حدة، منشورة علىٰ شبكة الإنترنت، فأفرد لتجربة الجهاد الجزائري محاضرات، وتجربة الجهاد السوري الأول بحثًا، وكذلك التجربة الطالبانية، كما أتىٰ علىٰ تاريخ الحركات الجهادية في العالم كافة بشكل موجز في كتابة الأهم «دعوة المقاومة». وللإنصاف؛ فقد سهل علينا أبو مصعب بسرده في أدبياته القضايا والإشكالات التي انتقدها هو، كأحد أبرز العاملين داخل التيار الجهادي، علىٰ الحراك الجهادي بعامة، والتجارب الجهادية المختلفة بخاصة، وهو ما ستناوله في المبحث المتعلق بتحليل مضامين وأبعاد ومنطلقات هذا الجهد النقدي المتميز داخل الحركة الجهادية المعاصرة.

٣- أبو أيمن الحموي (نموذج للجهاد السوري الحالي).

أحد أبرز قادة كتائب «أحرار الشام» والتي خسرت ثلة من

قياداتها في الجهاد السوري الحالي، وكان أبو أيمن الحموي منهم. ترك الرجل رسالة مهمة في محاولة لترشيد الحالة الجهادية السورية المضطربة، حيث حوت جملة الانتقادات التي ارتآها داخل الصف الجهادي.

أ- نقد ظاهرة إعراض الجهاديين عن التعلم من أخطائهم وضعفهم الشديد في قضية مواكبة الأحداث.

ويرصد هنا أبو أيمن أحد أهم الانتقادات الموجهة للتيارات القتالية/ الجهادية المعاصرة، المتمثلة في ضعف استيعاب التجارب والأخطاء السابقة، لدرجة أن التيار قد يكرر الخطأ عدة مرات بسبب هذه الإشكالية. يقول أبو أيمن: (إن ما دفعني لكتابة هذه الورقات إحساسي بأننا -كجهاديين- نستنفد الفرص التي يهبنا إياها الله ﷻ لنستفيد من الدروس ونتعلم من أخطائنا، فهذه الساحة الشامية بعد أن أكرمها الله في فرصة استثنائية طال انتظارها أكثر من ربع قرن بالثورة على الطاغية، وراجت سوق الجهاد فيها، على وشك اللحاق بأختيها العراقية والجزائرية- إلا أن يتداركها الله برحمته، وهذا ما نرجوه، لأن النبي ﷺ أخبرنا أن الله تكفل له بالشام وأهله، وأن الشام خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، وسبب ذلك -إضافة لمكر الكفر العالمي بها- إعراض الجهاديين عن التعلم من أخطائهم، وضعفهم الشديد في قضية مواكبة الحدث، فصاروا عبئًا على الساحة، ومصدر إزعاج لها،

بدل أن يكونوا المنقذ والدليل. ومحاولة التبرير دومًا بأن المنهج قد سرق، أو أنها شذوذات فردية من بعض الغلاة الذين تطفلوا على المنهج وليسوا من أهله . . . أكتب هذا بعد أن رأيت كثيرًا من أبنائه يرفضون الاعتراف بأن هناك خللًا في أصله وفلسفته، ويصرون أن المنهج بصورته الحالية حق، لكنه يسرق كل مرة من قبل هؤلاء المفسدين)[1].

ويقول أيضًا في سياق رصده لعدد من مظاهر الانحراف المنهجي للتيار الجهادي هناك: (. . . وصول عدد من الأشخاص الذين يعدون أمِّيِّون وعوام، وإن شئت فقل جهلة في علوم أصول الدين، إلى منبر التنظير والتحدث باسم التيار، وصاروا هم المرجعية عند الشباب، وسرُّ ذلك أن معظم المؤصلين في علوم الآلة، وللأسف، كان من الساكتين أو قل المداهنين للطواغيت في مسائل الحاكمية وحكم المبدل للشريعة ومن تولى أعداء الله من الطواغيت العرب وكذلك حكم الجهاد، وإن شئت فقل عمومًا مسائل ما يسمى بـ«الإسلام السياسي»، فلما سكت هؤلاء وصدع أولئك بالحق في تلكم المسائل وتحملوا -مأجورين- الأذى والسجن وظلم الطواغيت إياهم؛ صاروا مرجعيات الشباب في مسائل الدين، وأطلق الشباب عليهم مصطلح «علماء الجهاد وعلماء الثغور»، وأسقطوا ما عداهم من المرجعيات والعلماء، مع

---

(١) رسالة: «أليس منكم رجل رشيد»، أبو أيمن الحموي، منشورة على عدة مدونات على الإنترنت بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ.

أنهم لا يمتلكون الأهلية العلمية للفتوى في مسائل الدين، ولك أن ترى مدى الفوضى والمخالفات التي حصلت على الساحة جراء ذلك، فمن مفتٍ للخوارج في الجزائر بقتل الذرية والنساء، وللاجئين إلى ديار الغرب بالسرقة والنهب باسم الاغتنام، ناهيك عن فتاوى التكفير العمومية لكل من انتخب أو حكم بخلاف الشريعة أيًا كانت الواقعة، وتوزع الشباب بين آراء أولئك، فمقل ومستكثر، حتى وصلوا إلى حالة هي أشبه ما تكون بحديث النبي اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ فَضَلُّوا وأضَلُّوا)[1].

ب- نقده لعجز التيار الجهادي عن الاندماج مع الأمة/المجتمعات واعتماده على التنظيم النخبوي المستعلي.

يكشق أبو أيمن مجددًا عن عطب مركزي في العقل السوسيولوجي الجهادي والمتمثل في مفاصلته الاجتماعية للبيئة الحاضنة، إذ تتكرر مشكلات قلة الاهتمام بالحواضن المجتمعية، وضعف الخبرة في كيفية كسبها وتهييئها لتقبلهم. يقول أبو الوليد: (إن السلفية الجهادية التي تسنمت مراكز القيادة والسيادة في الساحات الجهادية فشلت فشلًا ذريعًا وأخفقت إخفاقًا حادًا في حل مشكلة الأمة، مع كونها بذلت الدماء والأشلاء وفارقت الأهل والأوطان، وقاست في غياهب السجون والمعتقلات، ولم تفلح إلا

(١) السابق.

في ضرب أمثلة الشجاعة والفداء، وإذكاء روح الجهاد في الأمة، إضافةً إلى مناصرتها للمستضعفين من المسلمين الذين صالت عليهم الجاهلية وخذلتهم الأمة الإسلامية، لكنها جنت على المشروع الإسلامي أيما جناية، ودمرته ونفّرت الناس منه، بل وفرخت في الساحات التي تمكنت فيها أصنافًا من الغلاة والخوارج عاثوا فسادًا في الأرض، وولغوا في دماء الأمة، ونفروا الناس من الإسلام، وأجهضوا المشروع ورموهم في أحضان الطواغيت. أبرز ما فشلت السلفية الجهادية في تحقيقه هو التوحد مع الأمة والاندماج معها وجرها إلى مشروعها، فما حصل في كثير من الساحات هو فشل السلفية الجهادية في إقناع الناس بمشروعها، فتحولت إلى تنظيمات أصولية شاذة منبوذة من مجتمعاتها، مما سهل على الجاهلية عزلها عن مجتمعاتها ثم تصفيتها، وسنرى في ثنايا هذه الدراسة بإذن الله ما هي أسباب فشل هذا التيار في إقناع عوام المسلمين بمشروعه، كونه بنى هذا المشروع على أسس نخبوية مستعلية على الناس، ولم يحاول امتلاك المقومات الطبيعية لبناء دولة الإسلام التي ينشدها.

العقلية والفلسفة التي تبناها هذا التيار لإقامة دولة الإسلام هي عقلية التنظيم النخبوي المدرب والمجهز بالكوادر أصحاب الفكر والرؤية والإمكانات، والذي يقوم بإسقاط النظام الجاهلي، ثم تقوم الأمة بمبايعته فيقيم دولة الإسلام. هذه النظرية أثبتت فشلها في جميع الساحات لأن نتيجة المواجهة بين التنظيم والنظام الجاهلي المدعوم من كل طواغيت العالم غالبًا ما تكون نتيجتها لمصلحة

الطواغيت، إذ إن الأمة بالنسبة للتنظيم في حرب العصابات كالماء للسمكة، فلما نجحت الجاهلية بعزل التنظيم عن محيطه، سهل عليها القضاء عليه وتصفيته، وقد أدرك كبار المنظرين في التيار الجهادي، ممن سلموا من الغلو في هذه المسألة، فنبهوا عليها، ومنهم الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه الأخير دعوة المقاومة العالمية، وتجلى هذا الفكر واضحًا في خطابات الدكتور أيمن الظواهري عن الساحة الشامية مؤخرًا، لكن صرخات النذير الخجولة هذه ضاعت بين ضجيج الخوارج ومعرفاتهم الوهمية على التويتر والفيسبوك)[1].

ج- رصده لبعض مظاهر الانحراف الفكري والمنهجي والسلوكي داخل التيار الجهادي.

وتأتي لحظة المكاشفة السلوكية المهمة، إذ يرصد أبو أيمن الحموي جملة من الإشكاليات الفكرية والمنهجية والسلوكية داخل الحالة الجهادية السورية الحالية، وهي كالتالي[2]:

أولًا: الكبر

مظاهر الكبر عند السلفية الجهادية:

* حصر الطائفة المنصورة والراية الواضحة بل وأحيانًا الفرقة

---

(١) السابق.

(٢) بتصرف من السابق.

الناجية في جماعتهم، ساعدهم على ذلك كونهم الراعي الحصري والوحيد (تقريبًا) لقضية الجهاد في العالم لحقبة لا بأس بها من الزمن، وبما أنه تقرر في حديث الطائفة المنصورة أن من صفاتهم أنهم «يقاتلون»؛ إذن فهذا وصف لازم مختص لنا لا يشاركنا فيه غيرنا ... أثرت هذه العقلية كثيرًا في اندماج الجهاديين مع مكونات أي ثورة أو مجتمع ومنها الثورة الشامية بل وحتى طالبان التي يدعون زورًا بيعتهم لها مع أن بعض الساحات أبدت تجاوبًا منقطع النظير في قبول المشروع الإسلامي بالضوابط التي وضعها الجهاديون له،وأعطتهم فرصة نادرة أن يندمجوا فيها وتكون درعًا لهم من المتربصين وأن يقودوها بفكرهم وكوادرهم إلا أن هذا الكبر والاستعلاء أفقدهم كثيرًا من مصداقيتهم، وصارت الناس تنظر إليهم على أنهم نفعيون انتهازيون لا يهمهم إلا مصلحة جماعتهم وحزبهم.

* الكبر دفع كثيرين إلى أن يكون افتتاح مجالسهم بذكر فضائلهم واختتامها بانتقاص غيرهم من الجماعات والتنظيمات، والكلام على عيوبهم ومثالبهم، وكيف فرُّوا من الغزوة الفلانية، وغَلُّوا من أخرى.

* دفع الكبر فصيلًا جهاديًا ادعى أنه خارج لتحكيم الشريعة إلى أن يرفض النزول على حكم الشرع والجلوس لمحكمة شرعية مستقلة بحجة أن خصمه مرتد أو عميل أو أن الحَكَم ليس من «أهل المنهج»، قصده طبعًا بأهل المنهج: من لم يبايع إمامه المزعوم.

مع أن عليًا تقاضى مع يهودي إلى قاضي المسلمين، وبعض العلماء ذكر الاتفاق على أنه إذا تحاكم كفار لنا وطلبوا أن نحكم فيهم شرع الله؛ أنه يجب علينا أن نحكم بحكم الله فيهم. ناهيك عمن اجتمع مع تنظيمه وأعلن دولة الإسلام دون مشاورة غيره، وصار يرى نفسه السلطة الشرعية . . . فما كان منه إلا أن ترك جهاد النصيرية ومضى قدمًا في قتالهم وضربهم -فصائل المعارضة السورية الأخرى- بالمفخخات، بعد أن كفَّرهم واتهمهم بالعمالة والردة، وسمعناهم ينادونهم على اللاسلكي «سوف نسبي نساءكم يا صحوات»، مما زاد الناس فيه يقينًا وأقنع المتردد منهم بمقاتلته.

* أدى الكبر إلى وأد أي محاولة إصلاحية داخل التيار، فتحولت إلى صرخة في واد أو نفخة في رماد، بل أدى إلى برمجة التيار بشكل يفتقر افتقارًا كاملًا إلى أي مقوم من مقومات الإصلاح الذاتي.

ثانيًا: الاعتماد على الطريقة السلفية المعاصرة كمنهج علمي في تلقي الأحكام والتعاطي مع النصوص

يرى أبو أيمن إشكالًا في منهج الاستدلال واستنباط الأحكام المتأثر بطريقة قطاعات من السلفيين المعاصرة، والتي تعاني من تشوهات منهجية وأصولية في طريقة التعاطي مع النصوص الشرعية، بالإضافة إلى إشكاليات الرفض المطلق للمذهبية، الضعف الشديد في علوم الآلات كالأصول واللغة، وظاهرية التعامل مع النصوص،

والغلو في التعامل مع مسائل الدين السلوكية والفكرية منها بتضخيم الصغير وتصغير الكبير.

ثالثًا: عدم الرفق بالمخالف

ويرى أبو أيمن أنه النتيجة الطبيعية لتزاوج الجهل المركب، الذي هو نتاج المدرسة السلفية مع الكبر، فيقول: (قرر علماؤنا أنه كلما زاد علم الرجل زاد رفقه بالمخالفين . . . ومن ناحية أخرى، يأتي الجهل في مسائل الدين ويدلي بدلوه في الموضوع، ومضمونها أن معرفة مسائل الاتفاق والخلاف ومعرفة ما يسوغ الخلاف فيه وما لا يسوغ ومعرفة وضع المسألة في الدين وهل يكون المخالف مجتهدًا أو مجتهدًا مخطئًا أو متأولًا بتأويل سائغ أو مبتدعًا . . . فكيف إن علمت أن كثيرًا من الشباب لا يعرفون إن كانت كثير من المسائل تدخل في باب العقيدة أو الفقه وهل هي من الأصول أو الفروع فتراه يشترط عليك أن تكفر فلانًا أو علانًا من الطواغيت لا بل وتجهر بتكفيرهم حتى يصح إسلامهم، ومن هذا لما اشترط خوارج الدولة الإسلامية على مخالفيها أن يجهروا بتكفير قطر وتركيا حتى ترضى أن تتحاكم معهم لشرع الله؟؟ والمضحك المبكي هو سؤال بعض الفصائل المحسوبة على العوام لها؛ لماذا اشترطت بالذات الدول التي تساعد اللاجئين السوريين وتدعم الثورة حتى نعلن عداوتنا لها ولم تشترط الجزائر مثلًا؟!.

رابعًا: إسقاط جميع المرجعيات إلا «مشايخ الجهاد» واتخاذ رؤوس جهال أصحاب هوى

ويراه أبو أيمن كما يقول: (نتيجة طبيعية للكبر والجهل المركب الذين تحدثنا عنهما سقوط جميع المرجعيات العلمية عند القوم واتخاذهم مرجعيات ممن يوافق هواهم ولو مع ضعف الأهلية العلمية، وهذه من أخطر الظواهر التي تهدد المجتمعات والأمم فضلًا عن الجماعات).

كما وجه انتقادات مباشرة لبيعة البغدادي وظاهرة التكفير عند جماعته إذ يقول: (اجتمعنا يومًا مع «شرعيي» فصيل جهادي نسألهم عن تكفيرهم لفصيل بالجملة وقتالهم إياهم، فذكر لنا من الهراء الذي لا يصلح لتفسيقهم حتى، فذكَّرَهم أحد الإخوة أنهم قاتلوا معهم قبل شهرين من المشكلة في صفٍ واحدٍ ضد النصيريين. فقال فورًا «يجوز الاستعانة بالكافر للضرورة» بينما العلة في تكفيره لهم أنهم تلقوا دعمًا من جهة يكفرها!!. ولدَيَّ من الأمثلة كثير كثير يثبت أن كثيرًا من «الشرعيين» عند كثير من الفصائل الجهادية ما هم إلا علماء سلطان محامون دفاعًا عن تنظيماتهم وراعون لمصالحها وحقوقها. وإن شئت أدلة حسية على ما أقول فراجع رسائل «مد الأيادي لبيعة البغدادي» و«إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام»، اقرأها بعد أن أخبرك بالسبب الحقيقي لإعلان الدولة الذي قام به جماعة البغدادي في الشام وهو في حقيقته خلاف شخصي بين

البغدادي ومسؤول جبهة النصرة، ورغبة جبهة النصرة بالاستقلال عنهم والتبعية للظواهري مباشرةً، وتمت المراسلات، وحتَّى يستطيع البغدادي قطع الطريق والإمساك بزمام الأمور والسيطرة على التنظيم اجتمع مع اثنين من المقربين له وقرروا إعلان الدولة؟!! دولة إسلامية تعلن بهذا الشكل لحل مشكلة صراع عن الإمارة دون مشاورة أهل البلد والنظر لمصالح المسلمين! فتأمل حفظك الله مدى استخفاف هؤلاء بدين الله وبمصير الأمة ثم انظر للأبحاث الشرعية التي ذكرتها لك كيف تبرر بزخم هذه الجريمة وتحشد الأدلة لتسويغها حتى تعلم ما هو دور «طلبة العلم» في هذه الجماعات؟!!).

خامسًا: الجهل المركب

وقصد به أبو أيمن الجهل في التعامل مع الآيات والأحاديث وطريقة فهمها وإنزالها على الواقع، ورَصَد بعض نماذجها وكيفية تناول قطاعات من الجهاديين لجملة من النصوص الشرعية بشكل سطحي ومشوه.

سادسًا: الحزبية المقيتة

يقول أبو أيمن: (يدخر أبناء التيار الجهادي كل الرحمة المتبقية في قلوبهم ويحملون جميع أحاديث الرفق واللين والرحمة، و﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، و«لينوا بأيدي إخوانكم»، والحب في الله، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، و﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأبناء تنظيمهم وجماعتهم، ظانين أنهم يطبقون الآيات والأحاديث بهذا الشكل، ويسمّون بعضهم بعضًا «الإخوة»، قاصرين الاسم على جماعتهم).

سابعًا: عدم قبول النصيحة

يقول أبو أيمن: (عطل الجهاديون فائدة النصيحة لهم بسبل شتى، فهم لا يقبلون أية نصيحة أو حتى فتوى تأتيهم من خارج التيار بحجة أنه «لا يفتي قاعد لمجاهد»، مع غمزهم ولمزهم لجميع من لم ينفر إلى ساحات الجهاد أو يسجن عند الطواغيت، وقد يصل الحال إلى تكفيرهم أو على الأقل تبديعهم وإسقاط عدالتهم واتهامهم بشتى الاتهامات. عندما يأتي جهاديو العراق إلى الشام وبدلًا من أن يستفيدوا من أخطائهم في العراق صاروا يقولون لجبهة النصرة في الشام، بعد أن حققت النصرة كتنظيم جهادي تقدمًا يحسب لها في علاقتها مع عوام المسلمين ومع بقية الفصائل المجاهدة، فصارت جماعة العراق يقولون لهم: هذه عراق ٢٠٠٤ ولا تتعبوا أنفسكم، فجميع هذه الفصائل ستصير صحوات وتقاتلكم في المستقبل، وسننزل حينها تحت الأرض ولا حل لهم إلا بالمفخخات والكواتم. هذا إصرار على عدم الانتفاع بالنصيحة ومتابعة نفس النهج).

ثامنًا: ضعف التربية الربانية واتباع الهوى

يقول: (لكن حياة الجهاد غير المستقرة والمليئة بالمشاغل

تكون في الأغلب عائقًا عن تزكية النفس بهذي الطريقة، إضافةً إلى فهم خاطئ عند أبناء التيار مفاده أن الإكثار من الذكر والعبادات ما هو إلا لوثة صوفية أو كالبدعة في الدين، أضف إلى ذلك التأويلات التي مضمونها أن الجهاد واتباع المنهج الحق يغني عن النوافل والعبادات. كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى استمرار كثير من الأخلاق الجاهلية ولكن بثوب إسلامي . . . تفشت بشكل كبير جدًا ظاهرة الكذب والمبالغة في نقل أخبار المجاهدين وانتصاراتهم وتضخيمها حتى صارت مزعجة جدًا، وفقدت مصادر الإعلام الجهادية مصداقيتها وصارت تنافس الطواغيت في كذبهم، واستحل أبناء التيار هذا أحيانًا بتأويل سمج أنَّ الحرب خدعة . . . هذا الاستحلال للكذب بلغ أشده ومداه وتجاوز كل وازع ديني أو أخلاقي أو إنساني، كالذي حدث عندما استحكم الاقتتال بين عصابة البغدادي وفصائل الشام، فبدأت معرفات العصابة على التويتر إشاعة الأخبار التي تذكر اغتصاب نساء المهاجرين والاعتداء عليهن).

تاسعًا: الخواء الفكري

يقول أبو أيمن: (الخواء الفكري جعل أبناء التيار يشترطون على غيرهم من الجماعات شروطًا غريبة للتأكد من نقاء عقيدتهم، منها أن يجهروا بتكفير وعداوة جميع الحكومات والأنظمة التي تحكم الشعوب المسلمة . . . عدم إدراك هذه المسائل كان سببًا رئيسيًا في التخوين والتكفير وسوء الظن بكثير من الجماعات،

وغالبًا ما يكونون سواد الأمة، ويتبع ذلك استحلال قتلهم وقتالهم، وانفصال التنظيمات الجهادية عن واقع الأمة مما سهل على أعدائها عزلها وتصفيتها).

وبذلك يكون أبو أيمن قد استوعب قدرًا مهمًا وكبيرًا من الإشكالات السلوكية والمنهجية للحالة الجهادية الحالية، خاصة وأنه يشخص الحالة السورية من داخلها ومن خلال معايشتها، والرسالة على وجازتها رصدت انتقادات مركزية ومؤثرة في العقل والشخصية الجهادية المعاصرة.

المبحث الثاني

نقد الأفراد للأفراد

هذا المستوى من النقد مما يروج داخل الحالة الجهادية بشكل عام، فتغيرات وتحولات الرمزية التنظيرية والقيادية للجهاديين دائمًا ما تتسم بالسيولة والجدة، ولفرط الصرامة المعيارية الحاكمة لذلك؛ فإن الحالة الجهادية كانت ومازالت منتجة لسيل من الانتقادات على مستوى الأفراد، ومن نماذجها:

*** انتقادات أبي الوليد المصري (مصطفىٰ حامد) لسياسات أسامة بن لادن وتوجهاته في تسيير الحراك الجهادي.**

يقول أبو الوليد: (... ومع ذلك فإن تصرفات القاعدة وزعامتها كانت مخالفة لجميع طلبات الإمارة الإسلامية في ما يتعلق بنشاطها خارج أفغانستان واستفادتها من الأرض الأفغانية. كانت طلبات الإمارة تنحصر في توقف بن لادن عن النشاط الإعلامي الخارجي، وألا يقوم بأي عمل عسكري خارجي بدون استشارة الإمارة، ولكن الرجل لم يلتزم بأي من الطلبين، رغم تكرار الطلب من الإمارة بكل لطف وإصرار، ولكنه لم يلتزم، ما

أدىٰ في النهاية إلىٰ غزو الولايات المتحدة لأفغانستان بتأييد من الأمم المتحدة ومعظم حكومات العالم، وتواطأ الجميع علىٰ أفغانستان. وعندما هدد جورج بوش الابن بأن من لي سمعنا فهو ضدنا؛ وجد أن الجميع معه، والبعض زايدوا ندفع قبله. لقد تسبب بن لادن في نشوب الحرب الطاحنة، ووفر للعدو ان الأمريكي غطاء أدبيًا وقانونيًا، رغم أن ذلك العدوان كان تحت الإعداد منذ سنوات وكان يحتاج فقط إلىٰ ذريعة، وقد وفرها بن لادن)[1].

وفي لقائه مع بن لادن في أغسطس ٢٠٠١م؛ برزت جملة من الإشكاليات البنيوية المتعلقة بمضمون العلاقة بين زعيم تنظيم القاعدة وبين بعض قيادات حركة طالبان، وهو الأمر الذي ارتآه أبو الوليد سببًا لتوريط الإمارة في مواجهة مبكرة مع الولايات المتحدة. وهي إجمالًا كالتالي[2]:

- إصرار أسامة بن لادن علىٰ رفع مستوىٰ الخطاب الإعلامي، خلافًا لما كان يريده الملا محمد عمر وقادة حركة طالبان.

- علىٰ خلاف النمط الحركي الجهادي؛ خالف بن لادن الكثير من أوامر الملا محمد عمر، علىٰ الرغم من كونه مستقرًا بإمارة أفغانستان ومرتضيًا إمارة الملا عمر، وهو الأمر الذي كان

(١) «أفغانستان في صباح اليوم التالي وتحديات ما بعد التحرير»، مصطفي حامد، ص١٠٤، منشور علىٰ موقعه الشخصي علىٰ الإنترنت.

(٢) انظر: «صليب فوق سماء قندهار»، مصطفي حامد، ص ١٩٤-١٩٧.

يستنكره أبو الوليد بشدة علىٰ بن لادن وقيادات تنظيم القاعدة.

- رصد أبو الوليد نبرة استخفاف بقدرات الولايات المتحدة علىٰ رد أي ضربة توجهها لها القاعدة، وهو ما قوبل من بن لادن والظواهري بوسم المصري بالانهزامي وبضعف الثقة بنصر الله لهم.

*** نقد أبي محمد المقدسي لأبي مصعب الزرقاوي**

وجه المقدسي حزمة من الانتقادات تتعلق ببعض الأفكار والأعمال والأساليب التي تتبعها بعض الحركات السلفية الجهادية، وكان لتنظيم ما كان يسمى «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» بزعامة الزرقاوي وقتئذ النصيب الأكبر من هذه الانتقادات، إذ أنه نقده بُني على مرتكزين تحليليين؛ أحدهما منطق «احتكار الزعامة المرجعية»، والثاني «الشيخ والتلميذ المتمرد»، وكلاهما يأتي بيانهما عند التحليل.

تركزت أبرز أوجه وموضوعات النقد بين المقدسي والزرقاوي في التالي:

أ- **العمليات الاستشهادية**، فالمقدسي يرى أن العمليات الاستشهادية يجب ألا يُلجأ لها إلا في حدود الضرورة القصوى، ويعتبرها وسيلة ثانوية وليست رئيسية في العمل القتالي. يقول المقدسي: (ومثل ذلك التساهل بالأعمال التي يسميها الناس انتحارية ويسميها البعض استشهادية ونسميها نحن بضوابط علمائنا

المحققين جهادية، فلا ينبغي غض الطرف عما اشترطه علماؤنا المحققون من شروط مهمة قد اعتمدوا في تجويزها وقايسوها على مسألة التترس . . . فمعلوم أنها وسيلة إنما يلجأ إليها المجاهد عند الضرورات . . .)[1]. وكان المقدسي قد أشار إلى أن الزرقاوي كان يتبنى قوله بهذه المسألة ويدرس فتواه في معسكره في هيرات، إلا أن الزرقاوي أصدر بيانًا وتوضيحًا لما أثاره المقدسي في حواره الصحفي، حيث أنكر تقليده للمقدسي في جواز العمليات الاستشهادية وذكر أنه يتبنى جوازها قديمًا قبل لقائه بالمقدسي، وقد ترسخت قناعته بجوازها بعد لقائه بأبي عبد الله المهاجر.

ب- **قتل المدنيين**، يرى المقدسي عدم جواز استهداف المدنيين بالقتل والعمليات، وفند الآراء التي أجازت استهداف المدنيين تحت حجج وذرائع مسألة التترس المعلومة عند الفقهاء القدماء، وبيّن المقدسي أن هذه الحالة لا يُلجأ إليها إلا في حالة الضرورة القصوى وعند التيقن أنهم مقتولون لا محالة. يقول المقدسي: (أقول هذا وأؤكد عليه وأنا أسمع وأتابع الفوضى العارمة الحاصلة اليوم في العراق والتي يراد بها تشويه الجهاد وصورته المشرقة من تفجير السيارات أو وضع العبوات الناسفة في

---

(١) بيان أبي محمد المقدسي: «الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة»، منشور على موقع «منبر التوحيد والجهاد»، بتاريخ جمادى الثاني ١٤٢٥هـ وانظر: مقال: «حقيقة الخلاف .. بين الزرقاوي والمقدسي»، مروان شحادة، منشور على موقع «العربية»، السبت ٢٠ أغسطس ٢٠٠٥م.

طرقات العامة وقذف قذائف الهاون ونحوها في الشوارع والأسواق وغيرها من تجمعات عوام المسلمين، فيجب المحافظة على أيدي المجاهدين المتوضئة من أن تتلطخ بشيء من دماء المعصومين ولو كانوا عصاة أو فجارًا، وإذا كانت الجماعة المقاتلة نظيفة من ذلك وبمنأى عنه فالواجب عليها إن كانت تحترم جهادها وجهود أتباعها وتحرص على قطف ثمرات من وراء تلك الجهود وذلك الجهاد ألا ترضى بنسبة شيء من ذلك إليها، وأن يواكب جهادَها دومًا لسان ناضج ناطق يذب عن المجاهدين ويبرئ ساحتهم من هذه الأعمال المشوهة أولًا بأول)[1].

ج- يتحدث المقدسي للزرقاوي بعين البصير الخبير، بلغة صريحة تبرز فوارق الخبرة والحكمة، بحسب المقدسي، بينه وبين الزرقاوي المتحمس. يقول المقدسي: (وبلغني أن أبا مصعب ومن معه من الشباب امتنعوا عن القتال مع الطالبان لما عاينوا أشياء كنت أتحفظ بسبب بعضها على الأوضاع هناك ولا أتحمس للسفر الذي تحمس له غيري، **فعاينت تلك الأشياء بعين البصيرة في وقت مبكر دون أن أتجشم تلك المسافات** التي قطعوها كي يعاينوها بعين البصر، مع أنها أشياء كانت معلومة تتناقلها وكالات الأنباء والصحافة، وسمعنا بعضها من خلال جهاز الراديو قبل أن يفرج عنا، ومع ذلك فقد كان الحماس والخروج من تحت ضغط أعداء

(١) السابق.

الله هو المحفز الذي أعان على غض الطرف عن تلكم الأشياء أولًا، ولا أدري ما الذي ضخمها وجعلها موانع للقتال في صفهم فيما بعد، مع أن الأصول تقتضي غير ذلك)[1].

د- ينتقد المقدسي استراتيجية الزرقاوي في توسيع دائرة الصراع بإدخال عموم الشيعة في خط المواجهة معهم. يقول المقدسي: (... أو الانجرار وراء استهداف عموم الشيعة وحرف المعركة عن المحتل وأذنابه وصرفها إلى مساجد الشيعة ونحوهم مهما كان تاريخهم وعداوتهم لأهل السنة وأذاهم لهم، فلا يجوز أن يجعلوا جميعًا في كفة واحدة؛ عوامهم مع خواصهم المحاربين. وعلى كل حال فإن إعلان الحرب على هذه الطوائف المحسوبة على الإسلام والمسلمين في ظل احتلال صليبي مجرم لا يفرق بين سني وشيعي ليس من السياسة الشرعية في شيء)[2].

هـ- الاستعداء الإعلامي؛ فالمقدسي ينتقد التهور الإعلامي المتضمن لتهديدات وهمية لدول العالم، وهو الأمر الجالب لعداوات لا داعي منها في راهن الواقع الجهادي. يقول المقدسي: (... أو بيث التهديدات الجوفاء لدول العالم كافة هنا وهناك،

---

(١) «الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة». وانظر: «السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي: مقاربة الهوية وأزمة القيادة وضبابية الرؤية»، محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، ص٤٧، مؤسسة فريدريش ايبرت - الأردن ٢٠٠٩.

(٢) السابق.

الأمر الذي يزيد الحرب على الإسلام توحّدًا وعالمية، ويُفقد المجاهدين مصداقيتهم بتكرارها عبثًا. ولذلك فلا بد مع الجهاد من خطاب إعلامي واعٍ ناضج يخاطب الناس على قدر عقولهم ويحدثهم بما يعرفون، ولا يتبنى شيئًا من الأعمال التي لا يستوعبها الناس أو الأعمال غير الناجحة)[1].

و- أحد أبرز انتقادات المقدسي للزرقاوي هي مطالبته له بترك قيادة الجهاد العراقي للعراقيين، إذ يقول: (وأبناء البلد عند عموم الناس أولى بالتصدر لأمورها والحديث عن همومها والبروز لتحمل مسؤولياتها، وعدم التفات المجاهدين إلى هذا الأمر وعدم اعتبارهم له وعدم اهتمامهم بموازين القوى في البلد وطبيعتها وطبيعة أهلها ووضع الغريب عنها أولًا وآخرًا وإغفال ذلك يعد إهمالًا لسنن الواقع، وإعراضًا عن تجارب إخواننا المجاهدين في شتى البلاد، ولذلك قلت مرارًا لابد من تصدير العراقيين في واجهة المقاومة ولابد من اختيار قيادة إسلامية عراقية راشدة تعرف هموم الشعب العراقي وتعرف كيف تخاطبه بخطاب واعٍ ناضج يجعلها منارة للناس يلتفون من حولها، وتتجنب كل ما يشوهها من أعمال مرجوحة أو اختيارات منفرة أو مفضولة)[2].

وقد أفرد الزرقاوي بيانًا نشر على شبكة الإنترنت ليجيب فيه على انتقادات الزرقاوي، وتركز الجواب على تحرير المسائل التي

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

خالفه فيها على المستوى الشرعي[1]. إلا أن جملة من الجهاديين ذوي الأسماء الحركية، والتي يبدو أنها محسوبة أو متفقة مع تيار الزرقاوي، وجهت انتقادات عنيفة للمقدسي، دللت على ظهور صراع على القيادة والمرجعية. فقد ألف أبو اليمان عبد الكريم بن عيسى المدني رسالة بعنوان «الاجتهاد في حكم الفرار من ساحات الجهاد»، وكتب أبو القاسم المهاجر مقالًا بعنوان «المقدسي يتقدم إلى الوراء»، وكتب المدعو أبو القعقاع الشامي «نعم خرجنا». وفي المقابل رد أنصار المقدسي ببيان «الدفاع عن المقدسي»، والذي تتضمن اتهامات لأنصار الزرقاوي ومن وافقه بكونهم خوارج وقريبين من جماعة المسلمين/ التكفير والهجرة في مصر[2].

* نقد أبي مصعب السوري لأبي قتادة الفلسطيني

تركز نقد أبي مصعب لأبي قتادة في قضيتين أساسيتين؛ الأولى متعلقة ببدايات تسلفه العلمي وتوسعه في تبديع المخالفين، والثانية متعلقة بتجرئه في إصدار فتاوى للجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر عبر نشرة «الأنصار» التي كان يصدرها من لندن. يقول السوري: (ولم يسلم من تلك الاشتباكات العقدية والسياسية الشرعية أحد، ولا حتى صلاح الدين الأيوبي الذي أخذ نصيبه من

(١) «بَيَانٌ وَتَوضِيحٌ لِمَا أَثَارَهُ الشَّيخُ المَقدِسِيُّ فِي لِقَائِهِ مَعَ قَنَاةِ الجَزِيرَةِ»، نشر بتاريخ ١٢ يوليو/ تموز ٢٠٠٥ م.

(٢) بتصرف من: «السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي: مقاربة الهوية وأزمة القيادة وضبابية الرؤية»، ص ٥٤، ٥٥.

أبي قتادة من النقد والهجوم كأحد الذين أرسوا المذهب الأشعري . . . وعبثًا حاولت وغيري من مؤيدي الجماعة ونشرة الأنصار أن نُفهمه ونفهم إدارة النشرة -التي تتعامل معه تعامل المريد مع الشيخ- أن هذه المعارك لا فائدة منها الآن، وإن كان ولابد فليس على صفحات نشرة من المفروض أن تحشد كل المسلمين على قضية دعم هذا الجهاد الجزائري. ولكن أي اعتراض على الشيخ السلفي الثائر كان محفوفًا بوشم صاحبه بالبدعة)، ويقول أيضًا: (وبدأتُ مع نخبة من الجماعة المقاتلة وجماعة الجهاد المصرية العمل، كل بطريقته للتحقيق فيما يجري في الجزائر، لعمل ما يمكن للمساهمة في وقف تلك الكارثة على المسلمين هناك وعلى التيار الجهادي برمته من جراء إلصاق تلك الممارسات بالجهاد والجهاديين. فيما اندفع أبو قتادة ومعاونه العتيد أبو وليد الفلسطيني لحمل لواء المزاودة والدفاع عن الراية السلفية للجهاد في الجزائر على حد زعمهم ووصفهم، وصدرت عنهما في هذا الإطار آراء وفتاوى وتصريحات في غاية العجب العوج. ويكفي لمن أراد مراجعة نشرة الأنصار التي كانا يشرفان عليها؛ ما حملته من أنباء قتل الأبرياء، تحت ذريعة معاونة الطاغوت، وقتل المجاهدين من جماعة جبل الأربعاء وهم تلاميذ محمد السعيد تحت مسمى المبتدعة، وقتل غيرهم من المجاهدين في غرب الجزائر بدعوى خروجهم عن طاعة الأمير، وغير ذلك من الفظائع، ونقل نشرة الأنصار كل ذلك، وبكل المباهاة والتبجح،

واحتوت مقالات «بين منهجين»، وكذلك الافتتاحيات التي كتبها أبو قتادة أو أشرف عليها في هذه الفترة الأعاجيب؛ من التسويغ والتبرير والدفاع عن أفعال الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر، والتي وصلت في العدد (١٤٧) لنقل خبر مفاده مقتل أحد أبطال مجاهدي الجماعة لأمه وأبيه لأنهم زوجوا أخته من رجل يعمل مع ميليشيا الحكومة،حيث اعتبر أبو قتادة في تعليقه على الخبر بأن هذا الفعل هو منهج الصحابة والرعيل الأول في قتل آبائهم الكفار!! وأن هذا من بركات وضوح عقيدة السلف عند هذا الجيل الفريد الذي بُعث في الجزائر)[1].

* انتقادات أيمن الظواهري وسيد إمام

يعد الدكتور فضل (سيد إمام) من قيادات التنظير والمرجعية الشرعية لتنظيم الجهاد المصري،وفي سياق ما عرف بمراجعات الجهاديين في مصر كتب الدكتور فضل كتابًا بعنوان «وثيقة ترشيد

(١) «مختصر شهادتي علىٰ الجهاد في الجزائر (١٩٩٦-١٩٨٨)»، أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، ص ٣٠، ٣١، سلسلة قضايا الظاهرين علىٰ الحق (٦)، بدون دار نشر. وانظر: «غلاة النظريين المدمرين: نقد أبي مصعب السوري للسلفيين في التيار الجهادي»، برينيار ليا، ضمن «السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير»، تحرير: رول ميير، ص٤٠٣ - ٤٠٨، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت. وقد نقل حسن محسن رمضان في كتابه «تشريح الفكر السلفي المتطرف» فتاوىٰ منسوبة لأبي قتادة في جواز قتل أسر الجنود والضباط، ص ٥٨١ - ٥٨٦، دار الحصاد- سوريا ٢٠٠٩.

العمل الجهادي»، وأحدثت هذه المراجعات جدلًا كبيرًا، خاصة في أوساط التيار الجهادي. ولانتقادات فضل لبعض أفكار واستراتيجيات تنظيم القاعدة؛ وجه أيمن الظواهري ردًا انتقاديًا لأطروحة فضل ونشرها في كتابه «التبرئة: تبرئة أمة السيف والقلم من منقصة تهمة الخور والضعف»، وحمل الكتاب هجومًا عنيفًا على وثيقة فضل دفعت الأخير لأن يرد ويكشف جوانب جديدة عن علاقته مع الظواهري في كتاب جديد بعنوان «مذكرة التعرية لكتاب التبرئة» نشرت مسلسلة في جريدة «الشرق الأوسط». وقد اتهم فضل تنظيم القاعدة أنه أسس لـ«مذهب جديد فاسد»، وهو الأمر الذي أجج حدة الانتقادات المتبادلة بينهما، وتبادل الطرفان الاتهامات بوجود ارتباطات بالأجهزة الأمنية.

يقول الظواهري: (خَرَجَت إلى العلن ما سميت بـ«وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم»، وصاحبها الإعلام بضجة واهتمام، ولما تأملتها وجدتها -وللأسف كما توقعت- تخدم **مصالح التحالف الصليبي اليهودي مع حكامنا الخارجين على الشريعة أيما خدمة**، فهي محاولة لتخدير أعدائهم المجاهدين وتشكيكهم في منهجهم وإخراجهم من ميدان المواجهة بحجة العجز والضعف وبحجة عدم توفر مقومات الجهاد، وبحجة اليأس من إمكان الحركات الإسلامية أن تحدث أي تغيير في مصر. ووجدت الرسالة قد ركزت عليّ شخصيًا بالإشارة وبالتعيين، بالإضافة للشيخ

أسامة بن لادن حفظه الله[1] ونصره على أعدائه، ثم أضاف الكاتب فيما صرح به من أحاديث أسماء أخرى. فوجدت نفسي في موقف في غاية الحرج؛ إن أنا سكت زعم المستفيدون من كتابة الوثيقة أنهم قد نجحوا في تشكيك المجاهدين في منهجهم، وكيف أسكت وأنا أرى الوثيقة تنصر الباطل على الحق بوضوح وجلاء، وإن أنا رددت فربما يكون ردي انتصارًا لنفسي، ويخرجني من موقفي الذي ارتضيته من زمن، وتتحول الوثيقة والرد عليها وما قد يتبعهما من ردود أفعال تراميًا بالنقد والاتهام على مرأى ومسمع من العالم مع إخوة تشرفت في يوم من الأيام بأن أبادلهم المودة الصادقة والإخوة الصافية على درب التضحية والجهاد في سبيل الله، والأمرُّ والأسوأ من تبادل النقد والاتهام أن أولئك الإخوة قد ارتضوا أن يقفوا في هذا النزاع في صف أعداء الإسلام الذين يشجعونهم ويهللون لهم، ويحرشون بينهم وبين إخوانهم، ويدفعونهم لمزيد من الرد والاتهام)[2].

وقد انتقد الظواهري سيد إمام من عدة جوانب؛ أبرزها تغيراته الفقهية، وآراؤه الاعتقادية المتقلبة، كما يشير في كثير من الأحيان لأثر الأوضاع السياسية والأمنية على توجهات سيد إمام في وثيقة

---

(١) وقت كتابة الرسالة.

(٢) «رسالة في تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف»، د. أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.

ترشيد العمل الجهادي، ودور ذلك في تغيراته الحادة.

*** انتقادات أحمد سلامة مبروك لوثيقة سيد إمام**

القيادي الجهادي أحمد سلامة مبروك، أمير تنظيم الجهاد في السجن[1]، وهو من الرعيل الأول لجماعة الجهاد، حكم عليه في قضية تنظيم الجهاد سبع سنوات ثم سافر إلى باكستان ومنها إلى أفغانستان، وكانت المخابرات الأمريكية قد خطفته من أذربيجان في أواخر عام ١٩٩٨م وسلمته للحكومة المصرية التي قدمته للمحكمة العسكرية فيما أطلق عليه إعلاميًا قضية «العائدون من ألبانيا» في ١٨ إبريل عام ١٩٩٩م التي حكمت عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. وعقب خروج وثيقة سيد إمام التي ذكر أنها كانت بإقرار مبروك ومجدي كمال؛ خط مبروك هذه الرسالة التي تنفي ما ذكره سيد إمام. يقول مبروك في رسالته: (من منطلق حق الرد و إظهار الحقائق يعلن أحمد سلامة مبروك «أبو الفرج المصري» أن ما قيل عنه علي لسان المدعو سيد إمام أنه موافق علي مبادرته في السر أو ما يسمي الوثيقة؛ هو محض كذب وافتراء، وأنه أبو الفرج المصري ثابت صابر محتسب لا يخون الأمانة ولا يخون دماء المجاهدين التي أريقت ومازالت تراق إلي الآن، وليعلم الجميع أن أحمد سلامة مبروك ممنوع من الزيارة والعلاج هو والذين معه في سجن المرج العمومي، وأيضًا سجن ليمان أبي زعبل، وأبو زعبل

(١) وهو منصب عرفي متعارف عليه بين جل الإسلاميين داخل السجون المصرية.

شديد الحراسة، ووادي النطرون ١ والوادي الجديد. وللعلم أيضًا فإن الشيخ محمد الظواهري والشيخ مجدي كمال «أبو حذيفة»

أيضًا رافضين ما يقوله المدعو سيد إمام من كلام في الوثيقة أو ما تسمي بترشيد العمل الجهادي، والمشهورة بالمبادرة، وذلك لأنها غير شرعية وغير منطقية . . . وكذلك لإظهار الحق وللعلم فإن المدعو سيد إمام انقطعت صلته تمامًا بجماعة الجهاد منذ أواخر عام ١٩٩٣، ولم يطلب منه أحد التحدث باسم جماعة الجهاد، فلماذا يتدخل فيما لا يعنيه!؟)[١].

* انتقادات «مجلس شورى جماعة الجهاد المصرية في الخارج» لسيد إمام

صدر بيان[٢] عما يسمى بـ«مجلس شورى جماعة الجهاد المصرية في الخارج» يحذر فيه من الإصغاء لمراجعات «خريجي السجون»، مشيرًا إلى أن وثيقة ترشيد الجهاد أصابتنا بالحسرة والألم مما احتوته. وقال بيان الجماعة أنه بالرغم من أننا قد توقعنا

---

(١) «رد قيادي الجهاد أحمد سلامة مبروك على د.سيد إمام»، أحمد سلامة مبروك، منشورة على موقع «مركز المقريزي للدراسات التاريخية» التابع للجهادي هاني السباعي. وانظر: «التنظيم والتنظير»، عبد المنعم منيب، ص ١٨٣ - ١٨٦، مكتبة مدبولي.

(٢) «بيان ردًا على اتهامات الشيخ سيد إمام»، منشور على الإنترنت، بتاريخ ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٨هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧م. وانظر: «التنظيم والتنظير» لعبد المنعم منيب، ص ١٨٧- ١٩٠.

شيئًا من هذا الأمر، نظرًا لعلمنا المسبق بنفسية الشيخ فضل، إلا أننا لم يدر بخلدنا أنه سيصبح في يوم ما، معول هدم ومثبطًا للمجاهدين بهذه الصورة، وقال البيان: (نحن اليوم نتحداه أن يذكر لنا قرارًا واحدًا اتخذناه من دون الرجوع إليه، إن كان ما ذكرته من اتهامات حقًا، فلم قبلتم قيادة المجموعة ثم الجماعة طوال هذه الفترة، التي تقدر بربع قرن من الزمن؟ . . . إن كانت بيننا وبينك خصومة قديمة، فما ذنب شباب الأمة أن تثبطهم بهذه الأقاويل التي تعلم أنها وليدة وسوسة شياطين أمن الدولة، ومن خلفهم مكتب إف. بي. آي بالقاهرة؟)[1].

(١) يرىٰ هاني السباعي أن الذين كتبوا البيان علىٰ الأرجح مجموعة من قيادات الجهاد القديمة، لأنهم يتحدثون عن مشاكل قديمة حقيقية وقعت بين فضل والظواهري، وأن فضل كان من أدبياته التي يعرفها جميع المحسوبين علىٰ التيار الجهادي أن الشورىٰ معلمة وليست ملزمة، أي أن الرأي الأول والأخير لأمير الجماعة، حتىٰ لو عارضه مجلس الشورىٰ بالإجماع في الرأي، كما يرىٰ أن عدد أعضاء مجلس شوري الجهاد كان ٢٥ عضوًا، وهؤلاء تفرقوا جميعًا في بقاع الأرض بسبب الضربات الأمنية المتلاحقة والتضييق عليهم في باكستان واليمن والسودان، ثم بعد ذلك علىٰ مستوىٰ العالم بعد وقوع هجمات سبتمبر، ولكن كانت الجماعة تعتمد علىٰ لائحة تقول: إن من يقبض عليه أو يقتل، أو يفصل ترشح إدارة الجماعة أعضاءً جددًا بدلًا عنهم. ومن أبرز أعضاء مجلس شورىٰ الجهاد المصري بحسب قياديين في أوروبا ثروت صلاح وعبد الله رجب ومرجان سالم، وكان رئيس المجلس أحمد بسيوني دويدار الذي قتل في اليمن منتصف العام الجاري. كما قال القيادي الإسلامي المصري أسامة أيوب، المقيم في ألمانيا إنه يعتقد أن فضل عندما وجه انتقادات للإخوة أو للعمل الجهادي، لم يكن يقصد أن ينقص من أحد بعينه، ولا أن يكون ضمن مخطط للتثبيط عن =

* انتقادات أبي بصير الطرطوسي وأبي محمد المقدسي

تركز النقد المتبادل بين الطرطوسي والمقدسي حول مسألة الإعذار بالجهل، فقد أفرد أبو بصير رسالة فند فيها الأخطاء التي ارتآها في مذهب المقدسي في المسألة حيث يقول: (ولما كان هذا القول، إضافةً لمخالفته للنصوص الشرعية وما عليه جماهير العلماء الموحدين، متكّئا لكثير من غلاة هذا العصر، على غير علم من الأخ[1] فيما هم عليه من الغلو والتنطع، الذين يلغون اعتبار موانع التكفير مطلقًا كمانع من تكفير المعين بحجة أن جاهل التوحيد أو شيء من متطلباته لا يعذر بالجهل، ولا يشترط لتكفيره والحكم عليه بالخلود في النار، قيام الحجة عليه من جهة بلوغ نذارة الرسل؛ لأن الحجة قائمة عليه من جهة حجة الميثاق، وحجة الفطرة. والشيخ لم يكن قصده نصرة الغلاة فيما هم عليه من الغلو والتنطع، فليس هذا من شأنه أو منهجه، بل عهدناه من خلال كتاباته القيمة النافعة حربًا على الغلو والغلاة كما هو حرب على الإرجاء والمرجئة سواء. ونحسب ما صدر عن الأخ في المسألة ما

= الجهاد، فهو يقر جهاد المحتلين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها، إنما كان يسعىٰ لإفراغ السجون من الشباب وهو يقول: إن الجهاد باق إلىٰ يوم القيامة. كما ذكر أن الخلاف القديم بين فضل والظواهري كان سببه كتاب (الجامع في طلب العلم الشريف)، لأن قيادات الخارج حذفوا منه بعض الأبواب عند طبعه مرة أخرىٰ، ولما أصر الإخوة في جماعة الجهاد علىٰ حذف بعض الأبواب حدثت القطيعة معهم.

(١) يقصد به أبو محمد المقدسي.

هو إلا عبارة عن كبوة غير مقصودة، ولكل فارس كبوة)[1]. ثم استرسل الطرطوسي في بسط أدلته واستدلالاته وتعقيباته على المقدسي في بقية الرسالة.

وقد عرج كل منهما في نقاش نقدي حول الموقف من الجهاد السوري، حيث كتب في البداية المقدسي رسالة بعنوان «رسالتي إلى الصادقين ممن نفروا إلى أرض الجهاد في سوريا»، تضمنت جملة من النصائح المنهجية والفكرية «الجهادية»، خاصة ما يتعلق بالتحالفات مع بعض الفصائل التي يراها علمانية، وما لبث أبو بصير إلا أن استدرك على المقدسي جملة من الانتقادات بثها في رسالة لع بعنوان «ملحوظات على رسالة إلى الصادقين ممن نفروا إلى أرض الجهاد في سوريا لأبي محمد المقدسي»، ثم رد عليه المقدسي برسالة «ملحوظات على ملحوظات الشيخ أبي بصير»[2].

* نقد أبي بصير الطرطوسي لبعض مراجعات سيد إمام

يقول الطرطوسي في رسالته الموسومة بـ«كلمةٌ حولَ مراجعات الشَّيخ سيِّد إمام»، والتي اتسمت بلغة نقدية حادة: (لمراجعات وكلمات الشيخ سيد إمام ثلاثة جوانب؛ جانب إيجابي يُشكر ويُقر

---

(١) رسالة «كبوة فارس: مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه»، منشورة على الموقع الشخصي لأبي بصير الطرطوسي، الثلاثاء، ٢٢ أغسطس، ٢٠٠٠م.

(٢) رسالتا المقدسي منشورتان على موقع «منبر التوحيد والجهاد» الذي يشرف عليه، بينما رسالة الطرطوسي منشورة على موقعه الشخصي.

عليه، وجانب سلبي يُرد عليه فيه، وجانب مُتشابه يُناقش فيه . . .
ثانيًا: الجانب السلبي؛ الذي يرقى إلى درجة أن نسميه **تراجعًا وانقلابًا وانسلاخًا عما كان عليه الشيخ من قبل**، ويتمثل في موقفه الجديد من طواغيت الحكم والكفر والظلم والردة في بلاد المسلمين، فهو إلى ساعة صدور الجزء التاسع من مراجعاته لم يسمِّ طواغيت الحكم والكفر هؤلاء صراحة بالمسلمين، كما أنه لم يصرح بكفرهم وتكفيرهم رغم ما اقترفوه من جرائم بحق أنفسهم ودينهم وأمتهم، بل أشار إليهم بما يوهم إسلامهم، ويلبس على العباد حقيقة كفرهم وإجرامهم، ومن دون أن يشير إلى كفرهم . . .
وهذا الذي اجتنبه الشيخ وهو من التلبيس والتضليل، وكتمان العلم الذي لم يُعهد على الشيخ من قبل! وكذلك بعد أن نقل حديث النبي ﷺ الذي يُفيد ويُلزم الأمة بالخروج على أئمة الكفر والردة والطغيان الذين يُرى منهم الكفر البواح، كما في قوله ﷺ: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»؛ انتقل الشيخ مباشرة ليمنع ويعطل هذا الحكم الشرعي، ويجعل تطبيقه والعمل به وبمقتضاه من رابع المستحيلات، ويحدثنا بتوسع واسترسال غير معهود عنه من قبل، عن فقه العجز والاستضعاف والشلل، فمدار بحثه قائم على الاستدلال بالعجز وفقه العجز، فجعل من العجز دليلًا ومبررًا لإبطال وتعطيل الجهاد، وكأن العجز قدر ملازم للأمة لا يُمكن الفكاك منه ولا إزالته. ثم أكثر من الدندنة حول ما يترتب على الخروج على طواغيت الحكم والكفر والردة من مفاسد

وأضرار، وقد أطال من غير طائل في الحديث عن تقدير المصالح والمفاسد، وتقديم مصلحة إقرار هؤلاء الحكام والطواغيت على حكمهم والتعايش معهم ومع أنظمتهم على مفسدة الخروج عليهم . . . لذا اعتبرنا هذا الجانب السلبي من مراجعاته يرقى إلى درجة أن نعتبره تراجعًا وانقلابًا عما كان عليه الشيخ من قبل. ثم إن الشيخ لم يفته أن يقترح البديل عن الجهاد والجماعات المجاهدة؛ أن تتحول الجماعات المجاهدة، وبعد أن أعزها الله بالجهاد، إلى جماعة لا تتعدى مهامها ونشاطاتها واهتماماتها مهام ونشاطات واهتمامات جماعة التبليغ. فهنيئًا لجماعة التبليغ بالأفراد الجدد الذي سينضمون إليها ممن يُتابعون الشيخ سيد على تراجعاته وليس مراجعاته)[1].

* موقف عبود الزمر من مراجعات الجماعة الإسلامية = مبادرة وقف العنف وقتل السادات

قد لا يكون من اليسير تبين موقف عبود الزمر من مبادرة وقف العنف ومراجعات الجماعة الإسلامية، إلا أن ثمة مؤشرين أساسيان يدللان على حقيقة موقفه المعارض للموقف الرسمي للجماعة الإسلامية؛ الأول هو غياب اسمي عبود وطارق الزمر من جميع كتب ورسائل الجماعة الصادرة ضمن سلسلة المراجعات

(١) «كلمةٌ حولَ مراجعات الشَّيخ سيِّد إمام»، لأبي بصير الطرطوسي، منشورة على موقعه الشخصي، بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٠٧م.

ومبادرات وقف العنف، والثاني هو تصريحات عبود الزمر عقب الإفراج عنه في مارس ٢٠١١م، في أعقاب ثورة الخامس والعشرين من يناير، ففي لقائه مع الإعلامية «منى الشاذلي» ومع مناوراتها الحوارية التي حاولت فيها تبين موقف الزمر من قتل السادات؛ وضح أنه لم يقر بنسق المراجعات الموحي بالتراجع أو الإقرار بخطأ العملية، بل برر جعله ضمن إطار نسق حركي يستمد صوابية قراراته من أهل العلم الأثبات، ويتحرك ضمن هذا الإطار، حتى في حال خطأ العالم/ العلماء. وكأن عبود الزمر لا يتفق، بشيء من الانتقاد المبطن، مع التغيرات الفكرية والفقهية الجذرية التي أعلنتها بعض قيادات الجماعة من خلال المراجعات والمبادرات[1].

* انتقادات الجماعة الإسلامية لتفجيرات القاعدة واستراتيجيات مواجهتها الجهادية

انتقد قادة الجماعة الإسلامية، في مرحلة إعداد المراجعات وصياغة مبادرة وقف العنف، التفجيرات في الرياض والدار البيضاء في مايو ٢٠٠٣م، والتي رأوا فيها خللًا في الاستراتيجية التي يتبعها تنظيم القاعدة في فهم الجهاد أو تنزيل الأحكام الشرعية عليه، ويظهر الخلاف بين رؤيتي «القاعدة» و«الجماعة الإسلامية» على

(١) رابط الحلقة:

https://www.youtube.com/watch?v=GbOhjVkL4eg.

وموقف عبود الزمر يؤكده بعض المقربين منه.

أكثر من مستوىٰ: في فهم الأحكام الشرعية وتنزيلها علىٰ الواقع، وفي فهم الواقع واستيعاب تحدياته التي يزخر بها، وعلىٰ صعيد ترتيب الأولويات. ويرىٰ قادة الجماعة الاسلامية أن الإستراتيجية الأميركية تجاه أفغانستان، خاصة في مطلع تسعينات القرن الماضي لم تكن تبرر تبني تنظيم القاعدة لإستراتيجيتها علىٰ النحو الذي اعتمدته، بل يروا أن قادة التنظيم أقحموا الأمة الاسلامية في صراع لا طاقة لها به، ولا رغبة لها فيه. ويرىٰ أيضًا قيادات الجماعة أن النتائج التي نجمت عن استراتيجية تنظيم القاعدة تصب في غير مصلحة الأمة الاسلامية، بل إنها أدت إلي نتائج سلبية كثيرة؛ كانهيار الدولة الاسلامية الوليدة في أفغانستان،ومطاردة قيادات القاعدة وغيرها من الحركات الاسلامية في إطار العولمة الأمنية، والإضرار بمصالح وقضايا الأقليات الإسلامية بالخلط المتعمد بين الحركات المقاومة للاحتلال والإرهاب، بالإضافة إلىٰ إفساح المجال أمام تحقيق الأهداف والطموحات الإسرائيلية[1].

كما ينتقد قادة الجماعة الخلل في فهم تنظيم القاعدة للجهاد عبر أربع زوايا؛ مغزىٰ الجهاد، الجهاد فريضة من فرائض الإسلام، الجهاد وسيلة لا غاية، الجهاد وسيلة من وسائل كثيرة لرفع راية الإسلام، ويفند منظروا الجماعة استدلالات زعماء القاعدة الخاطئة في تبرير تفجيراتهم من أحداث ١١ سبتمبر حتىٰ أحداث الرياض

(١) للتفصيل انظر: «استراتيجية وتفجيرات القاعدة: الأخطاء والأخطار»، كرم زهدي وناجح إبراهيم وآخرين من قيادات الجماعة الإسلامية، مكتبة العبيكان.

٢٠٠٣، حتىٰ يصلوا إلىٰ حقيقة يرونها مؤداها أن أغلب الضحايا في التفجيرات كانوا من المسلمين أو من جنسيات أخرىٰ غير مستهدفة، وهو ما نجم عنه أن أصبحت هذه الدول التي تمت فيها التفجيرات متكتلة ومتحدة ضد الحركات الإسلامية بشكل عام، وليس القاعدة فقط.

ويفصل قادة الجماعة عبر دراساتهم الصادرة ضمن مبادرة وقف العنف في بيان أدلتهم الشرعية ومراجعاتهم الفكرية والواقعية في سياق حجاجي نقدي لموقف وآراء تنظيم القاعدة وقياداته واستراتيجياته العنيفه، وهو بالتبعية يمثل نقدًا لمواقفهم السابقة، مع الابقاء علىٰ قدر من اعتبار حسن النية وإرادة الخير لكلا الطرفين.

المبحث الثالث

انتقادات مرحلة بروز تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)[1]

صاحب صعود نجم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) اضطراب على مستوىٰ جغرافيا المرجعيات والزعامات التاريخية الجهادية، كما مست الاضطرابات بنية استراتيجيات وتكتيكات المواجهة والعنف، وهي الأمور التي صاحبتها تمددات في المساحات النقدية داخل الحالة الجهادية.

* خلافات وانتقادات أيمن الظواهري/ أبي محمد الجولاني- أبي بكر البغدادي

قام الاختلاف بينهما علىٰ فكرة إعلان الدولة الإسلامية في سوريا، أو تأجيل هذا الإعلان، وكان أبو بكر البغدادي أمير ما

(١) مما ينبغي التنبيه عليه هنا أنني سأستخدم لفظة «داعش» من باب الاصطلاح والدلالة المجردة علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية، دون أي إقرار بحمولات دلالية سلبية صاحبت نحت المصطلح إعلاميًا وأكاديميًا.

عرف بـ«دولة العراق الإسلامية»، قد قال في شريط صوتي نشرته المنتديات الجهادية، إن «جبهة النصرة» تعد فرعًا من تنظيمه. وأعلن البغدادي عن دمج اسم المجموعتين تحت راية «الدولة الإسلامية في العراق والشام». لكن الجولاني اعتبر أن الدولة الإسلامية أمر واقع في سوريا لأن مهام الدولة من تحكيم الشريعة وفض الخصومات والنزاعات والسعي لإحلال الأمن للمسلمين وتأمين مسلتزماتهم قائمة علىٰ قدم وساق في الأماكن المحررة رغم ما يشوبها من التقصير، وتحفظ الجولاني علىٰ إعلان الدولة لأسباب وصفها بالشرعية، ولطبيعة الواقع السوري. ولم تفلح رسالة الظواهري «شهادة لحقن دماء المجاهدين في الشام»، بداية مايو/ أيار ٢٠١٤، في رأب الصدع، بل واستمر القتال وارتفعت وتيرة الحرب النفسية والإعلامية بين الطرفين، فبعد أن ردّت جبهة النصرة بالالتزام بأوامر البغدادي «نظريًا»، وجّه تنظيم الدولة ضربة أخرىٰ للظواهري عبر المتحدث باسمه أبي محمد العدناني في رسالة «عذرًا أمير القاعدة»، إذ تحدّث بلغة قاسية وحادّة مع الظواهري، مما استفزّ جبهة النصرة فردّت بدورها علىٰ العدناني في رسالة أبي ماريا القحطاني، المسؤول الشرعي، وأعلنت استمرار المعارك مع تنظيم الدولة الذي لم يُظهر احترامًا للظواهري وندائه. ولم تقف خطوط الاختلاف والتباين عند حدود المشهد السوري، إذ بدأت عرىٰ التيارات المنتمية للتيار السلفي الجهادي تتفسّخ وتنقسم ما بين مؤيد للظواهري ومعه النصرة أو موالٍ للبغدادي وتنظيم الدولة، وظهر

ذلك الاستقطاب جليًّا في انقسام أبناء هذا التيار في كلّ من الأردن والمغرب العربي، ووقف كلّ من أبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني ومعهم مفاتيح التيار في الأردن مع النصرة، بينما وقف تيار آخر مع تنظيم الدولة. وبالرغم من أنّ تلك الخلافات انفجرت مع المشهد السوري؛ إلاّ أنّ جذورها تعود إلىٰ مرحلة سابقة، وتحديدًا لحظة انضمام أبي مصعب الزرقاوي إلىٰ القاعدة ومبايعته أسامة بن لادن في العام ٢٠٠٤م، إذ اتسم منهج الزرقاوي بأنّه يقع في أغلب تفاصيله علىٰ يمين القاعدة، من زاوية التشدد الديني والمواقف السياسية الصلبة. ولم يؤدِّ مقتل الزرقاوي في العام ٢٠٠٦ إلىٰ تراجع منهجه، إذ التزمت أولًا القيادات الجديدة، مثل أبي حمزة المهاجر وأبي عمر البغدادي بالمنهج نفسه، وبقيت أمينة علىٰ ميراث الزرقاوي، كما هي حال أبي بكر البغدادي اليوم، وثانيًا بدأ هذا المنهج يجد له أنصارًا ومؤيدين ومتأثرين في أنحاء مختلفة من العالم، إذ ارتبط بالهالة التي أحاطت بنجاح الزرقاوي السريع في العراق. وتكشف الوثائق التي أفرجت عنها السلطات الأميركية بعد مقتل أسامة بن لادن في أبريل/نيسان ٢٠١١م، وكانت قد حصلت عليها من وثائقه الشخصية، عن وجود تذمّر وعدم ارتياح لديه ومعه القيادة المركزية من أداء أبي مصعب الزرقاوي وتنظيمه في العراق، وهو ما دفع بن لادن إلىٰ فتح باب النقاش في المراجعات مع مفاتيح فكرية وفقهية في القاعدة علىٰ نطاق ضيّق، منذ نهاية ٢٠٠٦، أي غداة مقتل الزرقاوي، إلىٰ الأيام

الأخيرة عشية مقتل بن لادن في ٢٠١١[١].

وبالرغم من الشعور بالقلق لدىٰ قيادة القاعدة؛ فقد كان جليًا أنّها تجنبت تمامًا إظهار أي نوع من الاختلاف والخلاف مع الزرقاوي، واكتفت بالنصائح والوساطات في القنوات السريّة الضيّقة، وتجنّبت إبداء أي موقف عندما وجّه أبو محمد المقدسي رسالة نقدية واضحة لسلوك الأخير ومنهجه[٢]، مما أثار غضب أتباع الزرقاوي وأدىٰ إلىٰ انقسام التيار في الأردن بين مؤيدي المقدسي ومن أُطلق عليهم إعلاميا مصطلح «الزرقاويون الجدد». وبقيت الخلافات بين القاعدة المركزية والزرقاوي مسكوتًا عنها في أروقة القاعدة وأوساط التيار الجهادي. وخلال الثورة السورية، بدا واضحًا أنّ التنظيم الجديد المرتبط بالقاعدة «جبهة النصرة» ينمو بهدوء وراء الأضواء، ويتجنب الإعلان عن انتمائه للقاعدة ولا يصطدم بالفصائل المسلّحة الأخرىٰ، ويمثّل نموذجًا مختلفًا عن التنظيم الذي ولدت فكرته في أحشائه، أي تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق»، ولم يعلن الجولاني عن بيعته للظواهري إلاّ في أبريل/نيسان ٢٠١٣، بعدما كشف أمير تنظيم الدولة أبو بكر البغدادي، عن فكرة الجبهة وتاريخها، وضمّها لتنظيمه، وهو الأمر الذي رفضته واستبدلته بالالتزام بالولاء للتنظيم الأم، أي القاعدة

(١) بتصرف من: «قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي»، محمد أبو رمان، مقال منشور علىٰ موقع «الجزيرة»، ٢٢/ ٥/ ٢٠١٤م.

(٢) وهي رسالة المناصرة والمناصحة التي سبق بيانها.

المركزية. وتطوّرت الخلافات وانحاز الظواهري إلىٰ الجولاني، وتحوّلت السجالات الإعلامية والفكرية وعملية الاستقطاب في أوساط السلفية الجهادية إلىٰ عداوة شديدة بين الفرقاء، وصلت إلىٰ معارك طاحنة في سوريا، واغتيال للقيادات، واتهامات عميقة تكشف بأنّ حجم الفجوة بين الطرفين أصبح كبيرًا، فلم تنجح أغلب الوساطات من الشخصيات المحسوبة علىٰ التيار والمقرّبة منه في ردمه[1].

وحينها خرج الظواهري برسالة صوتية[2]، حاول من خلالها ممارسة دور الأب الروحي للتيار في رأب الصدع ولم الشمل وحقن دماء أبناء التيار، حيث ذكر فيها: (أن الدولةَ الإسلاميةَ في العراقِ فرعٌ تابعٌ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وأودُ هنا أن أبينَ بعض التفاصيلِ:

- لما قامت دولةُ العراقِ الإسلاميةِ دون أن تُستأمرَ فيها قيادةُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وعلىٰ رأسِها الإمامُ المجددُ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ ﷺ، بل ولم تستشرْ، ولا حتىٰ أُخطرتْ بها، أرسل الشيخُ الشهيدُ -كما نحسبُه- أبو حمزةَ المهاجرُ ﷺ رسالةً للقيادةِ العامةِ يبررُ فيها إنشاءَ الدولةِ، ويؤكدُ فيها علىٰ ولاءِ الدولةِ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وأن الإخوةَ في الشورىٰ قد أخذوا العهدَ علىٰ الشيخِ الشهيدِ -كما نحسبُه- أبي عمرَ البغداديِ بأن أميرَه هو الشيخُ أسامةَ

(١) بتصرف من: «قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي».

(٢) «شهادة لحقن دماء المجاهدين بالشام»، مرفوعة علىٰ اليوتيوب.

بنُ لادنٍ ﷺ، وأن الدولةَ تابعةٌ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، ولكن رأوا أن يُعلموا الإخوةَ بذلك ولا ينشروه، لبعض الاعتباراتِ السياسيةِ التي رأوها في العراقِ حينئذٍ.

- كان الإخوةُ في القيادةِ العامةِ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وفي دولةِ العراقِ الإسلاميةِ يتعاملون علىٰ أساسِ هذه القاعدةِ؛ أن دولةَ العراقِ الإسلاميةِ جزءٌ من جماعةِ قاعدةِ الجهادِ، ومن الأمثلةِ علىٰ ذلك:

أ- الرسالةُ التي نشرها الأمريكانُ من الوثائقِ التي وجدوها في منزلِ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ ﷺ برقمِ: SOCOM-2012-0000011 Orig، وهي رسالةٌ موجهةٌ من الشيخِ عطيةِ للشيخِ مصطفىٰ أبي اليزيدِ رحمهما اللهُ، وفيها يؤكدُ الشيخُ عطيةُ علىٰ الشيخِ مصطفىٰ أبي اليزيدِ بوجوبِ كتابةِ رسائلَ توجيهيةٍ حازمةٍ للكرومي، ويقصدُ به أبا حمزةَ المهاجرَ، ولأبي عمرَ وناسِهم لخوفِه عليهم من الأخطاءِ السياسيةِ.

ب- لما تولىٰ الشيخُ أبو بكرٍ الحسينيُ البغداديُ -وفقه اللهُ- الإمارةَ دونَ إذنِ القيادةِ العامةِ أرسل الشيخُ عطيةُ ﷺ رسالةً للقيادةِ في دولةِ العراقِ الإسلاميةِ في ٧ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣١ جاء فيها: نقترحُ علىٰ الإخوةِ الكرامِ في القيادةِ أن يُولّوا قيادةً مؤقتةً تديرُ الشؤونَ ريثما يتمُ التشاورُ، ونرىٰ الأفضلَ أن يتريّثوا -ما لم يكن هناك مانعٌ أو مرجِّحٌ قويٌ للمبادرةِ بتعيينٍ رسميٍ دائمٍ- حتىٰ يرسلوا لنا الأسماءَ المقترحةَ وبيانًا عن كلٍّ منها، الاسمَ والتعريفَ به

والمؤهلاتِ، ونبعثُ إلىٰ الشيخِ أسامةَ ليشيرَ عليكم.

ج- وأرسلَ الشيخُ أسامةُ للشيخِ عطيةَ -رحمهما اللهُ- في ٢٤ رجب ١٤٣١ رسالةً جاء فيها: حبذا أن تفيدونا بمعلوماتٍ وافيةٍ عن أخينا أبي بكرٍ البغدادي، الذي تم تعيينُه خلفًا لأخينا أبي عمرَ البغدادي ﷺ والنائبِ الأولِ له وأبي سليمانَ الناصرِ لدينِ اللهِ، ويستحسنُ أن تسألوا عنهم مصادرَ عديدةً من إخوانِنا الذين تثقون بهم هناك، حتىٰ يتضحَ الأمرُ لدينا بشكلٍ كبيرٍ. وهي الرسالةُ التي أخذها الأمريكانُ من منزلِ الشيخِ أسامةَ ﷺ ونشروها برقمِ: SOCOM-2012-0000019 Orig.

د- فأجابه الشيخُ عطيةُ ﷺ برسالةٍ بتاريخِ ٥ شعبان ١٤٣١ ذكر فيها: إن شاء اللهُ سنطلبُ معلوماتٍ عن أبي بكرٍ البغدادي ونائبِه، وعن أبي سليمانَ الناصرِ لدينِ اللهِ ونحصلُ علىٰ صورةٍ أكثرَ دقةٍ.

هـ- وأرسل الشيخُ عطيةُ لوزارةِ الإعلامِ في دولةِ العراقِ الإسلاميةِ برسالةٍ في ٢٠ شوال ١٤٣١ جاء فيها: المشايخُ يطلبون منكم نبذةً تعريفيةً عن مشايخِكم القياداتِ الجددِ وفقهم اللهُ وأعانكم: أبي بكرٍ البغدادي أميرِ المؤمنين في دولةِ العراقِ الإسلاميةِ، ونائبِه، ووزيرِ حربِه، وإن شئتم غيرِهم من المسؤولين، وبإمكانِكم أن تخبروا المشايخَ بذلك، فلعلهم يكتبون التعريفَ بأنفسِهم، أو يسجّلونه مسموعًا.

و- فأجاب مندوبُ شورىٰ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ في غرةِ

ذي القعدةِ ١٤٣١ بما يلي: أخي الفاضلَ؛ وصلتنا رسالتُكم الكريمةُ المؤرّخةُ في رجبِ الحرامِ ١٤٣١هـ، وكذلك رسالةٌ سابقةٌ ضمنتموها بعضَ التوجيهاتِ من المشايخِ الكرامِ -حفظهم اللهُ- حولَ وضعِ الدولةِ هنا والتريّثِ في تعيينِ الأميرِ الجديدِ، ولكنها وصلتنا بعد الإعلانِ عن الإمارةِ الجديدةِ، وفي كلِّ الأحوالِ فإن قرارَ الإخوةِ هنا منذ البدايةِ هو الحرصُ علىٰ إحاطةِ المشايخِ عندكم بحقيقةِ الوضعِ كما هو. ونحيطُكم علمًا مشايخَنا وولاةَ أمرِنا الكرامَ أن دولتَكم الإسلاميةَ في بلادِ الرافدين بخيرٍ ومتماسكة، شيوخَنا الأفاضلَ؛ بعد مقتلِ الشيخينِ حاول مجلسُ الشّورىٰ تأخيرَ الإعلانِ عن الأميرِ الجديدِ حتىٰ يأتينا أمرٌ منكم بعد تأمينِ الاتّصالِ، ولكننا لم نستطعْ تمديدَ فترةِ التأخيرِ أكثرَ لعدةِ أسبابٍ، من أهمِها تربّصُ الأعداءِ في الداخلِ والخارجِ، وأجمع الإخوةُ هنا وفي مقدمتِهم الشيخُ أبو بكرٍ -حفظه اللهُ- ومجلسُ الشورىٰ علىٰ أنه لا مانعَ من أن تكونَ هذه الإمارةُ مؤقتةً. وإنّ إرسالَ أيِ شخصٍ من قبلِ المشايخِ عندكم، إن رأوا أن ذلك من تمامِ تحقيقِ المصلحةِ، ليتسلمَ الإمارةَ فلا مانعَ لدينا، وسيكونُ الجميعُ هنا جنودًا له عليهم واجبُ السّمعِ والطّاعةِ، وهذا الالتزامُ مجمعٌ عليه من مجلسِ الشّورىٰ والشيخِ أبي بكرٍ حفظهم اللهُ.

ز- بعد استشهادِ الشيخِ أسامةَ ﷺ، أصدر الشيخُ المكرمُ أبو بكرٍ الحسينيِ البغداديِ بيانًا جاء فيه: وإنّي وإن كنتُ واثقًا من أنّ استشهادَ الشّيخِ لن يزيدَ إخوانَه المُجاهدين إلا تماسكًا وثباتًا؛ فإنّي

أقولُ لإخوانِنا بتنظيمِ القاعدة وفي مقدّمتِهم الشّيخُ المجاهدُ أيمنُ الظّواهريُ -حفظه اللهُ- وإخوانُه في قيادةِ التّنظيمِ: عظّم اللهُ أجرَكم وأحسنَ اللهُ عزائَكم في هذا المُصابِ، وسيروا علىٰ بركةِ اللهِ فيما ترونه من أمرِكم، وأبْشروا فإنّ لكم في دولةِ العراقِ الإسلاميّة رِجالًا أوفياءَ ماضُون علىٰ الحقِّ في دربِهم لا يَقيلونَ ولا يَستَقيلون، ووااللهِ إنّه للدّمُ الدّمُ، والهدْمُ الهدْمُ.

ح- ثم عقب هذا البيانِ أرسل مندوبُ الاتصالِ بدولةِ العراقِ الإسلاميةِ رسالةً للشيخِ عطيةَ ﷾ بتاريخِ ٢٠ جمادىٰ الثانية ١٤٣٢ جاء فيها: أوصىٰ الشّيخُ -حفظه اللهُ- أن نطمئنكم علىٰ الأوضاعِ هنا، فالأمورُ في تحسّنٍ وتطوّرٍ وتماسكٍ وللهِ الحمدِ، وهو يسألُ عن المُناسبِ من وجهةِ نظرِكم عند إعلانِ الأميرِ الجديدِ للتنظيمِ عندكم، هل تُجدّدُ الدّولةُ بيعتَه علنًا أم تكون سرًّا كما هو معلومٌ معمولٌ به سابقًا؟، وهذا لتعلموا أنّ الإخوةَ هنا سهامٌ في كنانتِكم، وعلاقتُهم بكم مثلما قال الشيخُ في بيانِه المُعلنِ «الدمُ الدّمُ والهدمُ الهدمُ».

ط- بعد أن توليتُ الإمارةَ خلفًا للشيخِ أسامةَ ﷾، كان الشيخُ أبو بكرٍ البغداديُ الحسينيُ يخاطبني بصفتي أميرَه، حتىٰ آخرِ رسالةٍ لي منه -حفظه الله- في ٢٩ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٤، والتي بدأها بقولِه: فإلىٰ أميرِنا الشيخِ المفضالِ. وأنهاها بقولِه: وقد وصلني الآنَ أن الجولانيَ أخرج كلمةً صوتيةً يُعلنُ فيها البيعةَ لجنابِكم مباشرةً، وهذا ما كان يخطّطُ له ليحصّنَ نفسَه ومن معه من

تبعاتِ ما اقترفه من خطايا ومصائبَ، ويرىٰ العبدُ الفقيرُ ومن معه من إخوانِه هنا في الشامِ؛ أنّ علىٰ مشايخِنا في خراسانَ أن يُعلنوا موقفًا واضحًا لا لبسَ فيه لوأدِ هذه المؤامرةِ قبل أن تسيلَ الدماءُ.

ي- وكذلك أرسل الشيخُ أبو محمدٍ العدنانيُ بشهادة لي ختمها بقولِه: كتبها العبدُ الفقيرُ أبو محمدٍ العدنانيُ. وفي ١٩جمادىٰ الأول ١٤٣٤هـ معذرةً إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ثم إلىٰ الأمةِ، ثم إلىٰ أمرائه الشيخِ الدكتورِ أيمنَ الظواهريِ، ثم الىٰ الشيخِ الدكتورِ أبي بكرِ البغدادي حفظهم اللهُ.

ك- أرسل الشيخُ أبو بكرِ الحسينيُ البغداديُ -حفظه اللهُ- رسالةً مؤرخةً في ٢١ رمضان ١٤٣٤ لأحدِ مسؤولي الجماعةِ جاء فيها: مرت دراستُنا لرسالةِ الشيخِ الظواهريِ الأخيرةِ بثلاثِ مراحلَ؛ مرحلةُ التشاورِ مع قياداتِ الدولةِ الإسلاميةِ المتواجدين في الشامِ، ومرحلةُ التشاورِ مع أمراءِ ولاياتِ الشامِ الذين هم أعضاءُ مجلسِ شورانا فيها، ومرحلة دراسةُ الرسالةِ من الناحيةِ الشرعيةِ من قبلِ اللجنةِ الشرعيةِ في الدولةِ الإسلاميّةِ. فما قررنا البقاءَ إلا بعد أن تبين لنا أن طاعتَنا لأميرِنا معصيةٌ لربِنا ومهلكةٌ لمن معنا من المجاهدين وخاصّةً المهاجرين، فأطعنا ربَنا وآثرنا رضاه علىٰ رضا الأميرِ. أما بالنسبةِ للسؤالِ الذي يُطرحُ أحيانًا؛ وهو لماذا كانتِ الجماعةُ وقادتُها يثنون علىٰ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ ويرضون بها، بينما لا يرضون بالدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ؟ فالجوابُ: أنه رغم أن القيادةَ العامةَ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ وأميرَها الشيخَ

أسامةَ بنَ لادنٍ ﷺ لم تُستأمر، ولم تُستشرْ، بل ولم تُخطرْ قبيلَ إعلانِ قيامِ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ، إلا أنها رأت أن تعترفَ بها لفروقٍ عديدةٍ بينها وبين الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ منها:

أ- أن دولةَ العراقِ الإسلاميةَ لم تقمْ علىٰ أساسِ فتنةٍ بين الإخوةِ هددوا فيها بالخوفِ من سفكِ الدماءِ إذا تم تأييدُ الجبهةِ.

ب- دولةُ العراقِ الإسلاميةُ قامت بعد شورىٰ موسعةٍ بين شورىٰ المجاهدين وقبائلِ أهلِ السنةِ، كما أخبرنا الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرُ ﷺ بذلك، وهو من نثقُ به وبصدقِه لمعاشرتِنا الطويلةِ معه، بأنه سعىٰ للاتصالِ بكلِ الجماعاتِ الجهاديةِ لدعوتِهم للدولةِ. بينما الدولةُ الإسلاميةُ في العراقِ والشامِ تشاورت فيها مجموعةٌ محددةٌ داخلَ الجماعةِ، بينما أعلنت جبهةُ النصرةِ أنها لم تستشرْ فيها أصلًا.

ج- تسبب إعلانُ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ في مخالفةٍ واضحةٍ لأوامرِ قيادةِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ لجنودِها في العراقِ والشامِ بألا يعلنوا عن أيِ وجودٍ رسميٍ للقاعدةِ في الشامِ.

بل التوجهُ العامُ لقيادةِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ هو عدمُ إعلانِ أيةِ إماراتٍ في هذه المرحلةِ، وهو الأمرُ الذي أكده بالتفصيلِ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ ﷺ في رسالتِه للشيخِ عطيةَ ﷺ، وهي الرسالةُ التي نشرها الأمريكانُ برقم: SOCOM-2012-0000019 Orig.

وكرره الشيخُ أبو يحيىٰ ﷺ علىٰ إخوةِ الدولةِ في العراقِ، ثم كررتُه علىٰ الشيخِ أبي بكرِ الحسينيِ البغداديِ في رسالتي له بتاريخِ

٢٥جمادىٰ الثانية ١٤٣٥، والتي كتبتُ فيها له:وإن كنتم قد سألتمونا الرأيَ قبلَ إعلانِ تلك الدولةِ، لما وافقناكم، فنحن وإخواني هنا نرىٰ أن هذا الإعلانَ أضرارُه أكثرُ من منافعِه، فمقومات الدولةِ حتىٰ الآن لم تتوفرْ في الشامِ.

د- تسبب إعلانُ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ في كارثةٍ سياسيةٍ لأهلِ الشامِ، فبعد أن كان أهلُ الشامِ يخرجون في المظاهراتِ تأييدًا لجبهةِ النصرةِ لما أدرجتها الحكومةُ الأمريكيةُ علىٰ قائمةِ المنظماتِ الإرهابيةِ، صاروا ينددون بهذا الإعلانِ الذي قدمته قيادُة الدولةِ علىٰ طبقٍ من ذهبٍ للأسدِ، واستفز الإعلانُ بقيةَ الجماعاتِ الجهاديةِ، التي رأت أن الدولةَ تحاولُ أن تفرضَ نفسَها عليهم بلا رضا ولا مشورةٍ.

هـ- فجر إعلانُ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ خلافًا حادًا داخلَ الجماعةِ الواحدةِ، وصل للاقتتالِ، وهدد الشيخُ أبو بكرٍ الحسينيُ البغداديُ بنفسِه بأن أيَ تأييدٍ لجبهةِ النصرةِ أو تأخرٍ فيما يراه هو الموقفَ الصحيحَ -بمجاراتِه فيما أعلن- سيؤدي لسيلٍ من الدماءِ الذي بدأ فعلًا.

و- وما زال شلالُ الدماءِ يتدفقُ في الشامِ، ولو قبلتِ الدولةُ بقرارِ الفصلِ في المشكلةِ الذي كان يسعىٰ لحقنِ دماءِ المجاهدين وتجنبِ الفتنةِ المتوقعةِ، وتفرغوا للعراقِ، الذي يحتاجُ لأضعافِ مجهودِهم، لو قبلوا ذلك، وتصرفوا علىٰ أساسِ الشورىٰ والسمعِ والطاعةِ لأميرِهم، ولم يتمردوا علىٰ أميرِهم وقيادتِهم، فأحسب

أنهم كانوا سيجنبون المسلمين ذلك السيلَ من الدماءِ، ولأنكوا في الحكومةِ الرافضيةِ الصفويةِ، ونصروا أهل السنةِ في العراقِ بأضعافٍ مضاعفةٍ. والحمدُ للهِ علىٰ كلِ حالٍ)[1].

مثل تحرب السيطرة علىٰ مدين «دير الزور» نقطة مفاصلة بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة، إذ مرت الحرب بعدة محطات، كانت بدايتها الحقيقية في ٢ شباط ٢٠١٢ بسيطرة داعش علىٰ حقل كونيكو للغاز، والذي كان ضمن إدارة جبهة النصرة، بعد ذلك بأيام هاجم التنظيم منشآت تحت سيطرة الهيئة الشرعية، وجبهة النصرة عضو رئيسي فيها، في ريف الحسكة، وقطع طريق الإمداد نحو دير الزور، وأصدرت الجبهة وقتها بيانًا بعنوان «قد أعذر من أنذر»[2] الذي سرد حوادث اعتداء تنظيم الدولة علىٰ جبهة النصرة ومنشآتها وهدد بالرد علىٰ هذا البغي، كما أصدرت الدولة عقبها بيان رد بعنوان «هذاب يان للناس»[3] تضمن تخوين جبهة النصرة التي تقف

---

(١) نقلنا هنا نقولات كثيرة من: «شهادة لحقن دماء المجاهدين» للدكتور أيمن الظواهري؛ نظرًا لأهمية مضمونها الحركي التنظيمي والفكري والمرجعي، ويأتي بسط تحليل هذه المضامين في الفصل القادم. وانظر أيضًا: «عالم داعش»، هشام الهاشمي، ١٧٢ - ١٧٤، دار الحكمة - لندن. و«الدولة الإسلامية والقاعدة: في جذور الخلاف»، مقال لحسن أبو هنية، منشور علىٰ موقع «عربي ٢١»، ١٧ أغسطس ٢٠١٤.

(٢) بيان جبهة النصرة: «قد أعذر من أنذر»، انظر:

http://justpaste.it/ec4z

(٣) بيان تنظيم الدولة الإسلامية: «هذا بيان للناس»، انظر:

http://justpaste.it/ecx3

-حسب زعمهم- في صفو احد مع ما يسمونهم «الصحوات»، لتصدر جبهة النصرة بعد ذلك بيوم واحد بيان «فتبينوا»[1] ردًا علىٰ اتهامات تنظيم الدولة وتحميلها مسؤولية حرب العشائر والفصائل عليها. وفر تحر بالبيانات هذه دافعًا إضافيًا إلىٰ انحياز جبهة النصرة إلىٰ سردية الفصائل التي حاربت التنظيم منذ كانون الثاني ٢٠١٢، وإن وفرت حماية لعناصر التنظيم في ريف إدلب وريف حلب ومنعت من مهاجمة مقراتهم بداية الحرب، ولم تقاتل في هذه الحرب ضدها إلا في الرقة حتىٰ ذلك الوقت، القتال الذي انتهىٰ بانسحاب الجبهة وأحرار الشام وفصائل مختلفة من الرقة، ليسيطر عليها التنظيم وتكون عاصمته ومركز عملياته في سوريا. وفي ٢٣ شباط ٢٠١٢م، اغتيل الرمز الجهادي المقرب من جبهة النصرة وأحد مؤسسي أحرار الشام «أبو خالد السوري»، وتوجه الاتهام في الفضاء الجهادي العام نحو تنظيم الدولة الذي نفىٰ مسؤوليته عن العملية، بعد يومين من ذلك صدرت كلمة «أبو محمد الجولاني» القائد العام لجبهة النصرة بعنوان «ليتك رثيتني»، تكلم فيها عن أبي خالد السوري وأمهل التنظيم خمسة أيام للعودة إلىٰ العراق، وهو التهديد الذي تراجعت عنه الجبهة عمليًا بعد ذلك، إما بسبب عدم قدرتها علىٰ تنفيذه، أو بسبب طلب أبي محمد المقدسي ذلك، ومثل البيان بذلك القطيعة النهائية مع أي فرصة للتصالح بين النصرة

(١) بيان جبهة النصرة: «فتبينوا»، ردًا علىٰ بيان تنظيم الدولة «هذا بيانٌ للناس»، انظر: http://justpaste.it/ed7l

وداعش، بل وآل لشرعنة الحرب المسلحة العامة بينهما[1].

ومما يثير الدهشة في سجالات النزاع بين القيادات التاريخية للقاعدة، وبالتحديد أيمن الظواهري، وبين قيادات تنظيم الدولة الإسلامية؛ هو ملاحظة تغير في حدة خطاب القاعدة ونزوع لخطاب أكثر تصالحًا، مصحوبًا بمضامين قيمية لم تعهد في خطاب القاعة الدارج، إذ قد يكون الخطاب الداعشي شديد العنف والجاذبية لقطاعات من الشباب البائس من الأفق السياسي المغلق؛ داعيًا لخطاب أقل حدة من قبل القاعدة رغبة في حيازة عوامل جذب أخرىٰ للجيل القديم. وفي لقاء مصور للظواهري حول الخلافات مع تنظيم الدولة الإسلامية؛ انتقد الظواهري جملة من الأخطاء التنظيمية التي يراها من وجهة نظره، وتبعًا لمعيار زعامته وزعامة قيادات القاعدة للجهاد العالمي، فرصد الرجل مخالفات علىٰ مستوىٰ الشورىٰ، والسمع والطاعة، واستحلال الدماء، وجملة من الأخطاء التكتيكية والاستراتيجية التي يراها الظواهري كلفت الحراك القتالي/ الجهادي الكثير من الخسائر علىٰ مستوىٰ مواجهة الولايات المتحدة وحلفائها، وعلىٰ مستوىٰ الحواضن الاجتماعية في أرض الشام[2].

---

(١) بتصرف من: «المشهد السوري بعد دير الزور: تحدي الوجود بين الدولة والنصرة والثورة»، أحمد أبازيد، ص ٤، ٥، ورقة بحثية منشورة علىٰ موقع «منتدىٰ العلاقات العربية والدولية»، ٢٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

(٢) فيديو بعنوان: «ما هو رأىٰ أيمن الظواهرىٰ زعيم تنظيم القاعدة فىٰ أعمال تنظيم الدولة الإسلامية»، علىٰ الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=-H-2qoJX8Qw

* نقد أبي محمد المقدسي لتنظيم الدولة الإسلامية وقياديها

وجه المقدسي حزمة من الانتقادات الحادة والشديدة لقيادات وقواعد تنظيم الدولة الإسلامية، تقع جلها ضمن موضوعات التساهل في التكفير والدماء وسوء الأخلاق ونقض العهود والمواثيق. يقول المقدسي: (تعلمون يا إخوتنا ما جرىٰ ويجري في الساحة الشامية من اختلاف واقتتال بين المجاهدين، حرق قلوب الغيورين علىٰ الجهاد والمجاهدين، وأرق كل حريص علىٰ الإسلام والمسلمين، وأقر أعين أعداء الدين، ولعلكم تعلمون أننا حاولنا جاهدين التدخل في الإصلاح كما حاول غيرنا من الأفاضل والعلماء والمجاهدين، وأننا راسلنا المعنيين في هذا الخلاف والإقتتال ومنهم البغدادي، وناصحناه سرًا كما ناصحنا تنظيم الدولة علنا، ورددنا علىٰ بعض تجاوزات ناطقهم العدناني فيما قدرنا علىٰ إخراجه من السجن، وإلا فما يستحق الرد عليه في مجازفاته وتجاوزاته أكثر من ذلك. وقد راسلنا أخانا الشيخ القائد المجاهد أيمن الظواهري حفظه الله، ووضعناه في صورة سعينا في القيام بمبادرة إصلاح أو تحكيم بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة، وأننا سنوكل في القيام في ذلك بعض خواص طلبتنا الذين نثق بهم، ممن تنطبق عليهم أيضا شروط تنظيم الدولة التي تعنتوا سابقًا بها لرفض مبادرات التحكيم، وهو الشيء الذي أحطنا به البغدادي أيضًا، ونبهناه إلىٰ أن رفضه لهذه المبادرة سيحملهم المسؤولية أمام كافة المجاهدين، وسيحصدون عواقبه الوخيمة. كما أننا راسلنا بعض

مسؤولي الدولة الشرعيين، ولدينا وثائق بهذه المراسلات تظهر تدليسهم ولفهم ودورانهم وافتراءهم علىٰ قادة المجاهدين وكذبهم، وغير ذلك مما لا يليق بالمجاهدين الذي يفترض أنهم أولىٰ الناس بالقيام بالقسط والشهادة لله بالحق ولو علىٰ أنفسهم. وتعلمون أن تنظيم الدولة قد سفك الدماء المحرمة، وهذا موثق، ورفض الانصياع لقادة المجاهدين ومشايخهم ومبادراتهم ونصائحهم، وهذا مشهور معلوم وموثق أيضًا، وأن الغلو قد نخر في صفوف بعض أفرادهم بل وشرعييهم، واعترف بعضهم علنًا أن في صفوفهم خوارج، وتعلمون أن تسلط أمثال هؤلاء علىٰ المسلمين في سوريا، وتصدر صوتهم العالي وتكلمهم باسم الجهاد والمجاهدين، وارتدائهم لرداء الدولة الإسلامية واستعمالهم مصطلحاتها قد شوه ويشوه الجهاد والمجاهدين والدولة الإسلامية المنشودة، كما أنه سيصنع تحالفا من الشعوب ضد عموم المجاهدين وسينتج الصحوات، لأن الإنحراف عن شرع الله وعن هدي النبوة سيؤدي إلىٰ الغلو وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وسفك الدماء وظلم العباد لا بد أنه سيثمر مثل هذه الشجرة الخبيثة. وتعلمون أن تنظيم الدولة وناطقها وشرعييها ما فتئوا يتطاولون علىٰ كبرائنا وعلمائنا ومشايخنا، خصوصا أخانا وحبيبنا الشيخ أيمن الظواهري، وأنه لما عصوا أمره ورفضوه، وشهد عليهم المجاهدون بخلاف ما ادعوه من عدم بيعتهم له؛ صاروا يبررون معصيتهم وخروجهم علىٰ المجاهدين وتمردهم علىٰ قياداتهم

ورفضهم لنصائحهم بدعوة انحراف القاعدة عن نهج الجهاد، وبكلمات يتصيدونها هنا أو هناك في خطابات قاداتها لا غبار عليها شرعا . . . وعليه؛ فنحن نعلن هنا **أن تنظيم الدولة في العراق والشام تنظيم منحرف عن جادة الحق، باغ علىٰ المجاهدين، ينحو إلىٰ الغلو، وقد تورط في سفك دماء المعصومين، ومصادرة أموالهم وغنائمهم ومناطقهم التي حرروها من النظام، وقد تسبب في تشويه الجهاد، وشرذمة المجاهدين، وتحويل البندقية من صدور المرتدين والمحاربين إلىٰ صدور المجاهدين والمسلمين، إلىٰ غير ذلك من انحرافاته الموثقة**. كما أننا ندعو كافة المجاهدين إلىٰ تبني هذا البيان، وإعلان الإنحياز إليه نصرة للحق وأهله، وندعو أفراد تنظيم الدولة إلىٰ تركها والإنحياز إلىٰ جبهة النصرة ومبايعة قاداتها، هذا ما نفتيهم به ونحثهم عليه ونختاره لهم، كما أننا ندعو كافة المواقع الإسلامية الجهادية وغيرها ممن يهمهم أمر المسلمين وجهادهم، أن ينشروا هذا البيان، وأن ينصروه، وأن يمتنعوا عن نشر إصدارات تنظيم الدولة وخطاباتها وكتاباتها. **فهذا البيان هو بمثابة سحب الغطاء الشرعي عن هذا التنظيم العاق لقيادته، وهو بمثابة إعلان للبراءة من نهجه المغالي وسفكه للدماء المعصومة، المشوه للجهاد والمجاهدين، والضال عن سبيل الله لانحرافاته وبغيه وامتناعه عن حكم الله**. وبانحرافاته وصده عن التحاكم، ورفضه لجميع المبادرات؛ فهو الذي اضطرنا إلىٰ هذا بعد بذل المناصحة له ومراسلة قادته وشرعييه سرًا وعلنًا، وبعد أن لم يلتفت

إلىٰ نداءات قادته ومشايخ الجهاد وامتنع من النزول إلىٰ التحكيم، فصار ممتنعًا عن الشرع وأداء الحقوق إلىٰ أهلها، كما امتنع من قبل عن طاعة قادته، فصار لزامًا علينا القول بالحق بعد أن بذلنا ما في وسعنا من أسباب ومحاولات وسعي في إعادته إلىٰ جادة الصواب، فأبىٰ وأصر هو وقيادته وشرعيوه علىٰ انحرافاتهم. وصار لزامًا علىٰ أهل الجهاد التحذير منه، ودعوة المجاهدين إلىٰ مفارقته والانحياز إلىٰ أهل الحق والجهاد الأتقياء الصادقين، ليلتئم أمر الجهاد، وتتوحد صفوف المجاهدين، فإن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بيان مرصوص، ولا يرضىٰ لأهل الجهاد التفرق والتشرذم الذي يذهب بالريح، ويضعف الجهاد، ويسلط عليهم الأعداء)[1].

ويقول أيضًا: (فإن الخلافة والإمامة من المناصب المهمة والعظيمة الشأن عند أهل الإسلام التي لا زال يتطلع المخلصون من أهل الإسلام إلىٰ إعادتها وإقامتها، وبلغ التطلع بهم إلىٰ أن شط قوم منهم لاستعجالهم بالخلافة وتنصيب الخليفة، فجعلوا الإمام القوام علىٰ أهل الإسلام شخصًا لا سلطة له ولا سلطان قد أوىٰ إلىٰ لندن ودعوا الناس إلىٰ بيعته وأثموا من لم يبايعه، وآخرون

(١) بيان صادر عن الشيخ أبي محمد المقدسي في بيان حال «الدولة الإسلامية في العراق والشام» والموقف الواجب تجاهها، منشور علىٰ موقع «منبر التوحيد والجهاد»، رجب ١٤٣٥هـ وبيانه «هذا بعض ما عندي وليس كله»، المنشور عل ذات الموقع بتاريخ ٢٠١٤/٧/١م.

اختصروا الأمر بادعاء المهدية في بعضهم، وهذه لا شك صورة من صور البحث عن خليفة راشد يسلم له الناس قيادهم. وهذه المحاولات وأمثالها كانت ولا زالت تأتي مقحمة لشخص ما؛ لا مكان له علىٰ أرض الواقع بين عموم المسلمين وإنما هو مسمىٰ ومنتخب من جماعته ومجموعته ولا اختيار له من أهل الحل والعقد الفعليين في الأمة وهم علمائها الربانيون؛ كانت دومًا تؤول إلىٰ زوال واضمحلال دون أن يصيب المسلمين شيئا من الإحباط أو التشويه لهذا المنصب العظيم في صدورهم. أما أن تأتي جماعة يغلب عليها الخطاب المغالي، والنهج الإقصائي الإستئصالي لكل مخالف، وعدم الاعتبار لعلماء الأمة وكبرائها، وتدعي رغبتها بتحكيم الشرع علىٰ الأمة ولما تقبل هي بالتحاكم إليه في الخصومات والدماء والأموال مع الآخرين، ثم تتغلب علىٰ بعض النواحي من ديار المسلمين، وقبل أن تستتب لها الأمور ويجتمع عليها الناس والعلماء الفضلاء حتىٰ في تلك البلاد تعلن وجوب بيعة خليفتها الذي سمته علىٰ المسلمين في كافة أنحاء العالم ووجوب هجرة المسلمين إليه وإثم من لم يفعل ذلك ... إنها مؤامرة أخرىٰ علىٰ هذا التيار المبارك وجماعاته المخلصة، ملخصها: إما أن تكونوا معنا وإما أن نبث الفرقة في صفوفكم، ونعمل علىٰ تشتيت صفكم ... والحقيقة أن هذا هو أخطر ما في إعلانهم الأخير؛ فإني كما قلت سابقًا؛ لا يضيرني أعلنوا الخلافة في الشام أو في العراق أو في لندن ولكن الذي يضيرني ما سيرتبه

وقد رتبه هؤلاء من آثار ومآلات على هذا الإعلان؟؟)[1].

ولعل أبرز ما مس الحالة الجهادية في الداخل الأردني؛ هي حادثة حرق الطيار الأردني «معاذ الكساسبة» من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، إذ استنفر الحدث أبا محمد المقدسي، فور الإفراج عنه من قبل السلطات الأردنية، لانتقاد ومهاجمة عملية الحرق، وذلك في تصريحات له أثناء لقائه على قناة «رؤيا»، حيث ذكر المقدسي أنه سارع بإجراء اتصالات مع قياديين في داعش، بهدف تحقيق مصلحة شرعية، محاولًا إقناع العقلاء فيهم، إن كان فيهم عقلاء، حسب قوله، بأن يوافق تنظيم الدولة على مبادلة الطيار الأردني بالسجينة ساجدة الريشاوي، وأن هذه فرصة ذهبية لاستعادتها، كما صرح بأن الاتصالات بينهم تمت عبر وسطاء من الجهاديين من المغرب والكويت وغيرهم، وقال: إنه تواصل مع أبي محمد العدناني، وراسل أبا بكر البغدادي، والشيخ تركي بن علي، وشرعيين آخرين. وانتقد المقدسي عدم اعتبارهم لقضية ساجدة الريشاوي، حيث يقول: كنت أظن أن لديهم حرقة على أختهم، وتحقيق هذه المصلحة الشرعية، للأسف البعض لم يهتم بالأمر، حتى أن أحد الذين تحدثت معهم كان يكذب، ويحلف أيمانًا مغلظةً أنهم صادقون معي، وتبين أنه كذاب. واستنكر المقدسي بشدة طريقة إعدام الطيار الكساسبة حرقًا بالقول: هؤلاء سنّوا عدة

---

(١) جزء من بيان أبي محمد المقدسي: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا»، منشور على موقع «منبر التوحيد والجهاد»، بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٣٥هـ.

سنن سيئة كثيرة، أولها الذبح، حتىٰ ظن الناس أن الذبح سنة نبوية، وذبحوا ناسًا كثيرين من المجاهدين في سوريا، ما المصلحة من هذه التصرفات؟ هل ستتوقف الحرب بالحرق. وقال: أنا صُدمت أن أحدهم راسلني، وظل يقول لي: يا شيخي وشيخي، وتبين أنهم قتلوا الطيار، رغم أنه حلف يمينًا أنه جاد[1].

* بيان داعش حول وساطة المقدسي للإفراج عن الطيار الأردني معاذ الكساسبة

بث تنظيم الدولة الإسلامية تسجيلًا مسموعًا يظهر الدور الذي لعبه أبو محمد المقدسي، في الوساطة للإفراج عن الطيار الأردني معاذ الكساسبة الذي أعدمه التنظيم حرقًا. إذ عنون التنظيم التسجيل بـ«كسر الصنم»، حيث تضمن انتقادات حادة للمقدسي، واتهموه بالعمالة للمخابرات الأردنية والأميركية، ووتضمن التسجيل تطورات المقدسي كما يراها التنظيم من كونه مثبط عن الجهاد وداعية إلىٰ القعود، حسبما وصفوه، إلىٰ محارب لمشروع الخلافة الإسلامية.

وبحسب التسجيل فإن المقدسي كُلف رسميًا من قبل دائرة المخابرات الأردنية للتفاوض مع (داعش)، حاملًا ضمانات بالإفراج عن العراقية المحكومة عليها بالإعدام، ساجدة الريشاوي،

---

(١) لقاء أبي محمد المقدسي علىٰ قناة «رؤيا» علىٰ الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=XFh6gMKSGmA

التي نفذ فيها الحكم بعد يوم واحد من فيديو حرق الكساسبة، وفي التسجيل يحمّل المقدسي التنظيم المسؤولية عن حياة الريشاوي بعد أن «أصبح مفتاحها في أيديكم»، كما يقول، قاصدًا أسر الطيار الكساسبة، ومشددًا في أكثر من رسالة صوتية علىٰ أنه يتفاوض من أجل ساجدة وليس الطيار، ومحرضًا علىٰ قبول الوساطة حتىٰ لا يخسر التنظيم أنصاره في الأردن في حال فوّت الفرصة. ودعا المقدسي، حسب التسجيل، الطرف الذي كان يتواصل معه إلىٰ إزاحة الأمور الشخصية، في إشارة إلىٰ عتب التنظيم عليه علىٰ خلفية مواقفه التي انتقد فيها التنظيم ووصف قادته بـ«الجهل»، وذلك في أعقاب إعلان زعيمه، أبو بكر البغدادي، قيام الخلافة، عارضًا في حال نجاح صفقة التبادل أن يقوم هو شخصيًا بالإشادة بالتنظيم ومدحه علىٰ تخليص الريشاوي مقابل إطلاق سراح الطيار[1].

* نقد أبي قتادة الفلسطيني لتنظيم الدولة الإسلامية

وقد نال تنظيم الدولة الإسلامية من أبي قتادة حزمة من الانتقادات الحادة الشرعية والفكرية، يقول أبو قتادة: (وقد جمعتني

---

(١) انظر: «داعش» يكشف عن مفاوضات ساجدة - «الكساسبة»، الموقع الإلكتروني لصحيفة «العربي الجديد»، ١٦ فبراير ٢٠١٥م. ورابط الفيديو بعنوان «عبوة لاصقة: كسر الصنم أبي محمد المقدسي منظر التيار السلفي الجهادي»:
https://www.youtube.com/watch?v$kRhHX31vkrc

بهم مجالسُ كثيرةٌ وكان جلُّ وسعهم أن يأخذوا مني تزكيةً لهم علىٰ اعتقادهم، وكان إصراري أنكم لا تعدون -إن أحسنَّبكم الظن- جماعةً من المسلمين لا جماعةَ المسلمين، وحيث سميتُم الوهمَ «صيغة الخلافة عندهم» اسمًا شرعيًّا مباركًا (أي الخلافة) **فأنتم في هذا الباب علىٰ نهج الروافض**، وهم أكثرُ الناس وهمًا في هذا الباب حيث يسمون الغائب «المعدوم» إمامًا ويعلِّقون عليه أحكامَ الإمامة، بل وأكثر من ذلك. **وأما أنكم تشابهون الخوارج**؛ فإنكم أتيتم بالشرِّ الأكبر فيهم حيث كفرتم المخالفَ لكم في هذا المعنىٰ، وقد صرَّح لي «خليفتهم» وفقيههم المقدم فيهم أنهم كانوا علىٰ هذا الاعتقاد وهو تكفيرُ مَن لم يبايع خليفتَهم، ولكنهم قالوا: إن اعتقادنا هذا قد تغيَّر -أي الخليفة! والفقيه!- وإن كان بعضنا علىٰ هذا الاعتقاد، وهي مسألةٌ لا نوالي عليها، فهي عندهم مسألةٌ خلافية يجوزُ فيها الافتراقُ دون الفراقِ، وحيث كان هذا معتقدهم في الابتداء فقد وقع منهم جهالاتٌ كثيرةٌ من إباحةِ الدماءِ والأموالِ، وليس هذا موطن كتابةِ تاريخهم الذي اعترفوا به هُم دون سواهم، وقد انتهىٰ الأمر بيني وبين خليفتهم وفقيههم علىٰ حُسن الصحبة بيننا مع بقاء تصريحي لهم بما تقدَّم، هذا مع علمي أن بعضَ أتباعهم يطلقون عليَّ حُكم الكفر، وقد كان أحدهم يُشيع هذا الحكمَ عني، ويصرِّح به في مجالسه العامة في المساجد حتىٰ سعىٰ أحدُ شيوخنا وهو الشيخ أبو عياض إلىٰ ترتيب جلسةٍ بيني وبينه دون علمي -وهو رجل مقدمٌ فيهم- لأنه كان حريصًا أن

لا يجتمع معي ولا يناقشني، فلما حضرتُ إليه في بيت الشيخ أبي عياض لم يعرفني حتىٰ قدَّمتُ نفسي له، فحاول جاهدًا الخروجَ ولكنه أُلزم من صاحبِ البيتِ الكريمِ بالجلوس، ولما دارَ معه الحوارُ -والشيخُ أبو عياض يشهد علىٰ هذا- لم يكن من هذا المُقدَّم في جماعةِ الخلافةِ إلا ترداد أني كافرٌ فقط، وقد سألته مسائلَ في باب التكفير، وهي من قواعده فلم أجد إلا الجهلَ، فلما عرق حزنتُ عليه وأذنتُ لصاحب البيت أن يُفلته وقد كان. وقد كان سببُ التكفير زعمه أني أُجيز التحاكمَ لغير الشريعة، وذلك أني أجبتُ قائلًا يومًا عن مسألةٍ إنها من معاني الاستنصار في دفع الظلم وليس من باب التحاكم فهو يطلب الحكم في النزاع أو الأشياء أو المعاني، فلم يفهم شيئًا مما قلت، وقد جاءني الخبر من شيخنا أبي محمدٍ المقدسيِّ أن هذا الرجلَ اليومَ عند تنظيم «الدولة» وقد سُجن وذلك لجرأته في تكفير المخالف من المسلمين، وهذا عندي يدلُّ أن جماعة (الخلافة) السابقة قد دخلت في هذا التنظيم «أي الدولة الإسلامية في العراق والشام» وأثَّرت فيه، وحيث إني أعلمُ أن جماعةَ «الخلافة» يدعون لبيعة الأول فالأول، فإن جماعة الدولة قد سَرَتْ فيهم بدعةُ الدعوة إلىٰ الخلافة علىٰ المعنىٰ الباطل، ولكنهم لم يقبلوا «الخليفة»؛ أي أنهم أخذوا الفكرة والاعتقاد وألبسوها لأميرهم أبي بكرٍ البغداديِّ.

هذا هو مصدرُ الانحراف الأول في جماعةِ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ، وقد كان بعضُ الناس من خارج جماعة

«الدولة» تنظيمًا ومكانًا يدعو إلىٰ بيعة البغداديِّ بيعةَ الخلافة، وكان هذا يُحمَل عند الناظرين علىٰ الجهل والتهور وسعار المخالفة، ولم يكن يُرىٰ هذا المعنىٰ جليًّا في جماعة «الدولة» إلا عند من يدقِّقُ في كلامهم في رفضهم للتحاكم بينهم وبين مخالفيهم، وكان شيخُنا أبو محمد هو من نبَّههم علىٰ هذا الداء فيهم حيث كان بينه وبينهم رسائلُ وكلامٌ، مع أن بعض مسؤوليهم الشرعيين فاحت منه هذه الجهالاتُ وهو قوله: إن الإمامة من أصول الدين، وهي مناطٌ للتكفير والإيمان. **أما مصدرُ الانحراف الثاني في جماعة الدولة فهي بقايا جماعاتِ التوقُّف والتبيُّن، وبقايا جماعات الغلو ممن يطلق عليهم جماعاتُ التكفير**، وقد نفر بعضُ هؤلاء إلىٰ الجهاد في بداية أمره، وأعلمُ بعض أسمائهم، وقد أحدثَ هؤلاء من الشرِّ في رؤوس البعض، كما أنه صار لكلامهم أثرٌ كبيرٌ في رؤوسِ الشبابِ الجُدد الذين نفروا من مناطقَ صحت فجأةً من هوة الجهل العميق إلىٰ حالة التديُّن، ومثل هؤلاء كالعجميِّ إن أسلم؛ فإن وُفِّق لصاحب سُنَّة اهتدىٰ، وإلا كان فسادُه عظيمًا كما قال الأئمة من قبل، ولذلك تجدُ عامةَ أتباع هؤلاء من الجهلة المبتدئين في التديُّن، حيث يُعجزُهم جهلهم عن فهْمِ مضايق مسائل العلم، ومعلومٌ لأهل العلم أن تنزيلَ الأحكامِ الشرعية من مضايق الفقه، بل هو أعوص ما يلاقيه الفقيهُ نفسُه، فكيف يُجعَلُ حكمُ الكفرِ والإيمانِ علىٰ الأشخاص والجماعات في يدِ جاهلٍ لا يعرف أحكامَ المياهِ والوضوءِ والصلاةِ، وقد بلغني كثيرًا أن هؤلاء يحتجُّون بكلامِ

لي في إنزال أحكام الكفر علىٰ الناسِ والجماعات، بل إنَّ البعضَ ذهب ليجعلَ كلامي سببَ فسادِهم، وأني مصدرُ ضلالهم، وقد نسي هؤلاء أن الكلامَ الشرعيَّ في قواعده العامة يمكن أن يَحتجَّ به كلُّ فريق كما احتجَّ الخوارجُ بكلام ربنا، ولكن الفارق بين الهداية والضلال في إنزال هذه القواعد ومعرفة شروطها وموانعها، وهذا هو البابُ الذي يفترقُ الناسُ فيه، بل وتتفاوتُ فيه مراتبهم في العلم والدين)[1].

وقد تضمنت الرسالة نقاشًا شرعيًا مستفيضًا حول مشروعية إلزام المسلمين ببيعة البغدادي وجماعته، وبسط فيها أبو قتادة الحديث حول عدم مشروعية ذلك لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية الواقعية. واختتم أبو قتادة نتيجة بحثه بالقول بأن تنظيم الدولة الإسلامية: (جماعةٌ بدعيةٌ قبلَ الخلافةِ لما علمنا من سعارهم في قتل المسلمين وخاصةً أهل الجهاد منهم وما زالوا علىٰ ذلك، بل نرىٰ أن هذا السعارَ قد ازدادَ ونما خاصةً بعد حصول الغلبة علىٰ مناطقَ في العراقِ ... وحيث إنها جماعةٌ بدعيةٌ فلا يُقاتَل تحت رايتها إلا اضطرارًا، وقد زادتْ بدعتُها بزعمها أنها جماعةُ المسلمين، وأن إمامَهم هو الإمامُ الأوحدُ للمسلمين، مبطلين غيره بلا معنىٰ سوىٰ الادعاء وبيعةِ رجاله له علىٰ هذا المعنىٰ، فلا يجوزُ لمسلمٍ يعلمُ دينَ الله تعالىٰ أن يتابعهم علىٰ هذا

(١) وهذه شهادة مهمة لأحد أقطاب التنظير الجهادي، رسالة «ثياب الخليفة» لأبي قتادة الفلسطيني، ص ٤، ٥، مؤسسة نخبة الفكر، رمضان ١٤٣٥ - يوليو ٢٠١٤م

الأمر، وعلىٰ العقلاء مِن هذه الجماعةِ أن يمنعوا المزيدَ من الغلوِّ فيهم إن كانوا يريدون لأنفسهم ولإخوانهم الخيرَ)[1].

*** خلافات أحرار الشام/الجبهة الإسلامية وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)**

ثمة صراع محتدم بين الفصائل الجهادية في الحالة السورية متركز حول السعي الحثيث من مختلف الفصائل لحيازة واحتكار خطاب وأدوات السلطة علىٰ واقع المعارضة السورية بشكل عام، وعلىٰ المعارضة الإسلامية بشكل خاص. دائمًا ما يصاحب تفاصيل الصراع قدرًا من التشوهات المبنية علىٰ تحيزات الراوي ووجهات النظر المختلفة لكل فصيل، إلا أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، قبيل فرض وصايته علىٰ سوريا، هو أول من أبرز هذه السمة في خطاب الحالة الجهادية السورية، أو يمكن اعتباره الدافع لخلق مساحات تنافس وتحارب حول هذه القضية. فقد كان منطق تدخله «الرسمي» في سوريا هو وصايته وفضله في تأسيس ودعم «جبهة النصرة» قبل إعلان «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، أي عولمة الجهاد السوري وتمديد مساحات المواجهة من المواجهة المحلية إلىٰ المواجهة العامة في العراق وسوريا وعلىٰ تخوم الحدود اللبنانية. ولأن تفاصيل وروايات المعارك والخلافات بين أحرار الشام وتنظيم الدولة الإسلامية يشوبها عدم الدقة وضبابية

(١) السابق، ص ٢٠.

التوثيق؛ فإننا من خلال جملة من المعطيات والمعلومات قد نرسم أطرًا عامة للموضوعات الأساسية التي تمثل مناطق خلاف ونزاع بينهما.

اختارت حركة أحرار الشام أن تكون جزءًا مهمًا وحيويًا من المنظومة الثورية المحلية، وأن تعمّق انتماءها لمشروع الجهاد السوري، إذ إن الحركة تميل ناحية البحث عن مشتركات ثورية مع باقي تيارات المعارضة السورية، الإسلامي منها والعلماني، في إطار القضية السورية فقط، ودونما فتح أبواب المواجهة الإقليمية والدولية مع النظام العالمي، وهو اختيار تكتيكي واستراتيجي مهم وذكي، فضلًا عن كونه صارفًا الأنظار عن ضجيج الحراك الجهادي المعتاد. فالحركة تعرف نفسها بأنها: (حركة إسلامية إصلاحية تجديدية شاملة، أحد الفصائل المنضوية والمندمجة ضمن «الجبهة الإسلامية» وهي تكوين عسكري، سياسي، اجتماعي، إسلامي شامل، يهدف إلىٰ إسقاط النظام الأسدي في سورية إسقاطًا كاملًا، وبناء دولة إسلامية، تكون السيادة فيها لشرع الله ﷻ وحده مرجعًا وحاكمًا وموجهًا وناظمًا لتصرفات الفرد والمجتمع والدولة)[1].

بينما نجد علىٰ النقيض من ذلك تنظيم الدولة الإسلامية الذي يتبنىٰ استراتيجية المواجهة الشاملة والمعولمة، ويتجاوز العدو المحلي والإقليمي إلىٰ العدو العالمي، ويجعل مرمىٰ أهدافه مشتملًا

(١) الموقع الرسمي للحركة:

http://ahraralsham.net/.

علىٰ كل ما يدخل في إطار مفهوم «العدو» وفق معاييره، والتي تُدخل تحت هذا المفهوم قطاعات كبيرة من التيارات الإسلامية وغير الإسلامية.

وفي بيان صدر موقعًا من تسع مجموعات من المعارضة السورية الإسلامية، كان من بينها «الجبهة الإسلامية» والتي تضم حركة «أحرار الشام»، حيث ذكروا موقفهم من إعلان الخلافة: (فبعد أن أدمىٰ خوارج تنظيم الدولة قلوب أهل الإسلام في العراق ثم في الشام ولسنوات طويلة بجرائم وانتهاكات شرعية لطالما صبَّت في صالح الطواغيت ها هم يخرجون علينا بإعلان الخلافة الإسلامية ليستروا بها مخازيهم المتواترة، ويدغدغوا بها العواطف، ويذعروا بها سائر الطغاة علىٰ شعوب مسلمة مستضعفة لم يتسنَّ لها أن تلتقط أنفاسها بعد خرج غلاة تنظيم الدولة بإعلانهم هذا، وقد عرف القاصي والداني حقيقتهم، وبشاعة استغلالهم للأحداث والثورات لخدمة أجنداتهم وأهدافهم المشبوهة التي لم يزدها طول الزمن إلا تكشفًا وتعرية وإن شئتم فاسألوا عامَّة المسلمين من أهل العراق وأهل الشام عنهم فإنَّ عندهم الجواب الشافي. وإننا نجد أن إعلان الخوارج للخلافة الإسلامية باطل شرعًا وعقلًا ولا يغير شيئًا من وصفهم ولا طريقة التعامل معهم . . .)[1].

(١) بيان «الموقف من إعلان الخلافة» منشور علىٰ عدة مواقع ومنتديات جهادية وإخوانية، من أبرزها «رابطة العلماء السوريين»، والبيان صادر بتاريخ ٢ رمضان ١٤٣٥هـ الموافق ٣٠/٦/٢٠١٤م.

أما موقف تنظيم الدولة من أحرار الشام والجبهة الإسلامية فبلغ درجة التكفير والحكم عليهم بالعمالة والخيانة، وهو موقف راديكالي متسق مع نسق المعايير الحكمية لدىٰ التنظيم. تذكر الهيئة الشرعية للتنظيم في بيان لها: (ولقد اجتمعت الهيئة الشرعيةُ العامة للدولة الإسلامية في العراق والشام، واستعرضت أحوال الجماعات المتواجدة علىٰ أرض الشام، وخصوصًا تلك الجماعاتِ التي تتستر خلف أسماء وشعارات تحكيم الشريعة كحال ما يسمىٰ بالجبهة الإسلامية، ظنًا منها أن ذلك سيستر عَوار فكرها، ويُخفي فساد منهجها، ولكن يأبىٰ الله إلا أن يفضح سوء نواياهم ويكشف خبث طواياهم في لحن قول أمرائها الذين لا يرون حرجًا في أن يتخذوا كل ما يقع تحت أيديهم من الوسائل الفاسدة في طريق الوصول إلىٰ ما يدَّعونه من السعي لتحكيم الشريعة. ولقد نظرت الهيئة الشرعية في المناطات التي احتفَّت بأحوال أمراء ما يسمىٰ بالجبهة الاسلامية، وخلَصَت إلىٰ ... أن أمراء ما يسمىٰ بالجبهة الإسلامية **قد تلبسوا بمناطا تكفرية قبل إنشاء جبهتهم وبعدها**، ومن أهمها؛ تقرير وتصحيح مذهبِ الكفار فضلًا عن تولي المرتدين في هيئة كفرية، وهيهيئة الأركان التابعةُ لهيئة الائتلاف ... إن من المعلوم من حال هيئة الائتلاف والأركان، توليهما الدولَ التي تحارب الإسلام والمسلمين، وفي مقدمة تلك الدول أمريكا وفرنسا التي جددت ما كان قد بل يمنع دائها للإسلام والمسلمين حديثًا، ولم يقتصر أمر الهيئتين علىٰ الارتباط الوثيق بتلك الدول فحسب، بل ارتبطت بأذنابها من طواغيت المنطقة

الذين سخَّروا ماتحت أيديهم من أموال المسلمين لحرب الإسلام والمسلمين باسم محاربة الإرهاب، كالسعودية وقطر وغيرهم . . . **تولي أمراءِ الجبهة للمرتدين وموافقتهم لما هم عليه من الكفر** وذلك لعضويتهم في هيئة الأركان، إما بمباشرة العمل فيها بأنفسهم، كأبي عيسىٰ الشيخ[١] وزهران علوش[٢]، أو بالوكالة كحسان عبود[٣]، الذي كان يمثله فيها أبو الزبير عبد الفتاح عروب[٤] ويمثل حركته، وهذا كان بعلم حسّان وموافقته، فله حكم مباشر العمل في الأركان. وكل من تولىٰ الأركان والائتلاف، أو ناصرهم، أو أعانهم، أو قاتل تحت رايتهم، فحكمُه حكمُهم سواء بسواء)[٥].

والبيان يحوي بين أوراقه جملة من الدلائل التي تراها الهيئة الشرعية كفرًا وردة وخيانة، وهي أحكام باتة في ذهنية قيادات التنظيم وجل قواعده.

---

(١) أمير صقور الشام، وممثل جبهة المنطقة الشمالية التابعة لمجلس القيادة العسكرية العليا للأركان، ورئيس مجلس شورى الجبهة الإسلامية سابقًا.

(٢) أمير تشكيلة لواء الإسلام وممثل جبهة المنطقة الجنوبية التابعة لمجلس القيادة العسكرية العليا للأركان والقائد العسكري للجبهة الإسلامية وقتئذ.

(٣) أمير حركة أحرار الشام ورئيس الهيئة السياسية في الجبهة الإسلامية قبيل اغتياله.

(٤) قائد لواء الإيمان التابع لحركة أحرار الشام، عضو هيئة الأركان، مساعد نائب رئيس الأركان سابقًا.

(٥) «بيان الهيئة الشرعية في الدولة الإسلامية في العراق والشام حول الجبهة الإسلامية وقيادييها»، منشور علىٰ موقع «مؤسسة البتار الإعلامية» التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية، بتاريخ الأربعاء١٦جماديالآخرة ١٤٣٥هـ.

* طبقة النقد النخبوي الجديدة

برزت شريحة من النقاد الجهاديين غير الحركيين، ممن انشغلوا بترقية وتنقية الخطاب الجهادي، قد لا يكونوا محسوبين علىٰ الجسم الجهادي الميداني؛ إلا أنهم قريبون إلىٰ حدٍ كبيرٍ منه، خاصة دوائر صنع القرار وبث المعلومات أو معايشة الأحداث. ويعد الدكتور إياد قنيبي من أبرز شباب هذه الطبقة، إذ أن نمط كتاباته وخطاباته مما يمثل حركة ترقية نخبوية علىٰ مستوىٰ التحليل والرصد المتعلق بمتغيرات ومستجدات الجهاد السوري بالتحديد.

القنيبي أكاديمي أردني متخصص في الصيدلة، يحاول الرجل خلق مساحات نقدية غير مباشر لجل التيارات الجهادية، بعيدًا عن النقد المباشر التي يستجلب ضجيجًا إعلاميًا مضرًا بالتيار، إذ إنه ممن يميل صوب الدفاع الحجاجي الهادىء عن أي تصرف تتخذه الحركات الجهادية وكأنه يدفع انشغال الفضاء الفكري والسياسي العام عن تثبيط الحراك الجهادي. وللقنيبي سمتا الهدوء والروية الواضحتان في نقاشاته ورسائله.

ولأن ظهور حالة نقدية ليست ممن تماهىٰ في الحالة بكل تفاصيلها وتأثر بحركيتها وفاعليتها، لكنها علىٰ خط التماس معها ميدانيًا وعلميًا، ترصد وتحلل وتنضج من المضامين الفكرية والسياسية لها؛ كل ذلك مما قد يثري مسار التيار الجهادي ويكسبه مزيد وضوح من ناحيتي الرصد والتحليل، بل ويعطي خطابًا جهاديًا

أكثر نضوجًا علىٰ المستوىٰ التنظيري والنقدي، وهو مما أراه قد يكون من رحم مثل هذه النماذج.

إلا أن القنيبي لم يسلم من الانتقادات، إذ وجه له أبو بصير الطرطوسي انتقادات لاذعة بخصوص موقفه من الفصائل المقاتلة في الشام، وخاصه موقفه من تنظيم الدولة الإسلامية، حيث يقول: (بقليل من المتابعة لما يكتبه الأخ، يقصد القنيبي، وينشره؛ يدرك كل مراقب بأن الرجل هواه مع القاعدة وما والاها، فلا يرىٰ جهادًا في الشام إلا جهادها، ومن يجاهد علىٰ طريقتها، رغم ما يترتب علىٰ استراتيجية القاعدة من ضرر صريح وراجح علىٰ الشام، وأهله، ومجاهديه. إلىٰ الساعة، ورغم جرائم جماعة داعش، التي هو يعترف بها ويُشير إليها في بعض مقالاته؛ يتورع عن أن يشير إليها أنها من الخوارج، بينما إذا اقترب من مجاهدي الشام ومن فصائلهم فهو لا يتورع بأن يسيء بهم الظن ويرميهم -ولو بطرف خفي- بالعمالة، والخيانة، والارتباط بأجندة ودول خارجية، والتي تفيد في النهاية التكفير والردة!. فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر؛ ما كتبه مؤخرًا في مقالته المعنونة بـ«تبرئة الإسلام من جرائم تتم في ساحة الشام» يقول: أيما جماعة تصدر بيانًا تصف فيه طائفة بالردة دون بينة وترتب عليه القتل فإنها لا تحكم في هذا بما أنزل الله، من ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه اسم الإسلام إلا بيقين. ومن الجهل والضلال أن يصدق بعض المتعصبين جماعة في تكفير

مسلمين مع أن هؤلاء المكفِّرين لم يأتوا ببينة. وهو بذلك يشير إلىٰ جماعة الدولة ويرد عليهم.! كلام جيد وجميل لكن **هو كعادته لكي يُحافظ علىٰ منهج مسك العصا من الوسط**، ويظهر أنه غير منحاز مع الدواعش، ولا مع ضدهم من مجاهدي أهل الشام)[1].

(١) سؤال: «كيف تقيمون موقف الدكتور إياد قنيبي من الثورة الشامية؟»، جوابه منشور علىٰ موقع أبي بصير الطرطوسي.

الفصل الثالث

تفكيك وتحليل الحالة النقدية الجهادية

أولًا:

ملامح وخصائص النقد الذاتي الجهادي

سنحاول هنا رصد أبرز الخصائص التي يتسم بها الخطاب النقدي داخل التيار الجهادي، وذلك من خلال المستويات الثلاثة التي تم عرضها سابقًا. علىٰ أننا سنرصد هذه الخصائص بشكل عام دون الدخول في مناقشة مضامينها وتفصيلاتها، حيث أننا هنا بصدد تحليل وتوصيف الظاهرة النقدية وديناميا تها.

* من أبرز خصائص الخطاب النقدي الذاتي عند الجهاديين الوضوح والصراحة والمكاشفة، إذ تكاد تكون ضغوط وحديّة النقد دافعة لكشف الحقائق/ الدعاوىٰ التي تعضد حجة الناقد تجاه المنقود، فردًا كان أو تيارًا، وهي أمور تولد حالة الكشف عن المعلومات والدعاوىٰ التي قد لا تظهر في غير حالات النقد والرد المتعاقب والمتجدد.

* المثالية علىٰ مستوىٰ النموذج التفسيري، وعلىٰ مستوىٰ الأهداف. وهي خصيصة تحمل قدرًا سلبيًا يدفع غالبًا لمعايرة مساحات وموضوعات النقد بمعايير غير واقعية، تحاكم المنقود بناءً

علىٰ نموذج الحكم الخلافي، بمضمونيه السياسي والاجتماعي، وغالبًا ما تكون مصحوبة بتأويلات نصوصية تراثية غير محكمة من قبل الناقد. وعليه فإن المثالية المقصودة تتعلق بتهذيب وتحقيق مناطات النصوص الشرعية علىٰ الوقائع الجزئية ومحاكمة الغير بناءً علىٰ هذا النسق الاستدلالي الممسوس بخلل في التفاصيل. كما تتعلق المثالية بإنغلاق النسق التفسيري المرجعي حول أدبيات بعض الرموز، أو مذاهب فقهية وعقدية، أو وقائع وسياقات اجتماعية مباينة في كثير من شروطها للواقع المعاش.

* يغلب علىٰ الخطاب النقدي الجهادي الانطلاق من منطلق «ردة الفعل» لا المبادرة بالفعل؛ إذ غالبًا ما نجد موضوعات النقد دائرة بين ردة فعل لأحداث وقعت، أو قضايا عقدية جدلية بُثت بين الجهاديين، أو تغيرات فكرية وحركية استجدت.

* يمكن القول بأن مجمل ظاهرة النقد الذاتي داخل التيار الجهادي كانت بقدر كمي وكيفي جيد إلىٰ حد كبير علىٰ الرغم من معوقات التدوين والرصد والتحليل في سياق الممارسة الجهادية التي تتسم بصعوبة توفير الوقت والجهد للكتابة والرصد والنقد.

* العنف؛ إذ يضمر الخطاب النقدي الجهادي في ثنايا الرسائل والكتب والمقولات قدرًا من العنفية اللفظية، السياسية والاجتماعية والشرعية، تدلل علىٰ المستوىٰ السيكولوجي علىٰ ما يوسم بـ«العنف البنياني/ الهيكلي»، والذي يعرفه عالم الاجتماع النرويجي جون جالتانج Johan Galtung بكونه عنفًا يتضمن

جملة من السمات والمقومات الكامنة في البنائين الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع/ المجموعة البشرية. كما أنه علىٰ المستوىٰ السياسي[1] يشير إلىٰ حدة وميل لاستخدام القوة اللفظية المعبرة عن خيارات واختيارات عنيفة قابلة للتنوع والتطبيق العملي بشتىٰ الصور. أما علىٰ مستوىٰ الخطاب الشرعي؛ فقد نتلمس قدرًا من الرغبة في قصر مفهومية النصوص الدينية والقدرة علىٰ حيازة الفهم النهائي والناجز لها، إذ تتسم المحاججات الشرعية في هذا النطاق بنسبة مضمرة من احتكارية الوعي بالمفاهيم والدلالات الشرعية، خاصة تلك المتعلقة بتطبيقات «الجهاد في سبيل الله» وما يتفرع عنها من جواز العمليات الانغماسية، وفتح مساحات السماحية بتحقيق النكاية في «العدو» بشكل واسع، وحسابات المصلحة والمفسدة الشرعية من تجويز أو تأجيل أو رفض ذلك. وعليه فإن العنف المتضمن في خطاب النقد الذاتي الجهادي قد يتسم بسمة مهمة وبارزة وهي كونه «عنفًا عاطفيًا» نسبيًا، إذ ينطلق من منطلق ديني «مقدس»، يرىٰ لزوم إبراز عنف لفظي أو مادي دفاعًا وحماية لجناب الدين[2].

---

(١) للمزيد انظر: «ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية»، «د. حسنين توفيق إبراهيم»، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) للمزيد انظر: «العنف الديني في مصر: قراءة في فكر الخطر الإسلامي»، «د. محمد حسين أبو العلا»، مركز المحروسة للنشر.

ثانيًا:

مساحات اشتغال النقد

* النواحي الفكرية والشرعية

أولت نماذج النقد الذاتي عند الجهاديين اهتمامًا واضحًا بحالة القصور والخلل في الجوانب الفكرية والشرعية بمختلف الفروع العلمية التي تندرج تحتهما، والتي يمكن إجمالها في الآتي:

- التشدد والتعصب الفكري والمذهبي، والذي يرتبط بقلة الاطلاع والتأهل والتأصيل العلمي، بالإضافة لضعف ارتباطه بالواقع في بعض الأحيان، بالإضافة إلىٰ نقد نمطية التلقي والتعاطي مع النصوص، وهذه الملامح تظهر من تتبع نماذج النقد، وبالتحديد عند أبي مصعب السوري،حيث أنه كان أكثر عمقًا وتركيزًا من النموذجين الآخرين في رصد وتعليل وتوصيف هذا الجانب، فقد أتىٰ علىٰ جل أشكاله وأنواعه وأسبابه،فالرجل يرىٰ أن فقه الواقع كان مغيبًا في أطروحات الجهاديين وأدبياتهم إلىٰ حد كبير، ويراه معللًا بالجمود الذي طبع عموم المدرسة السلفية المعاصرة، والجهادية كجزء منها.

- وكانت ثاني أكبر الأزمات الفكرية التي يراها أبو مصعب السوري؛ هي التداعيات غير المنضبطة لطريقة الفقه السلفي لدىٰ طلاب العلم الشباب من الجهاديين، حيث يرىٰ سيطرة فقه التشدد والتزمّت خاصة في النصف الثاني من التسعينات، وبسبب جهل بعض المتسلقين علىٰ التيار الجهادي، ولغياب الكتاب الأصلاء فيه في تلك المرحلة، بالإضافة لتفشىٰ المنشورات التكفيرية علىٰ هامش التيار الجهادي والسلفي، واستغلال أجهزة الاستخبارات ذلك وتضخيمها لتلك النتوءات، حيث بدأ الهامش الواضح والجدار الفاصل بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري يتضاءل أمام جمهور المسلمين في تلك المرحلة.

- ضعف التحرير المفاهيمي الشرعي والفكري لبعض القضايا والمصطلحات، حيث رصد النقد الجهادي ضبابية تحرير مفاهيم: الجماعة المجاهدة -الإمارة والشورىٰ- البيعة والسمع والطاعة -التكفير وضوابطه- الدولة الإسلامية، وغير ذلك مما يتداخل مع الجوانب السياسية والاجتماعية الأخرىٰ، الأمر الذي يعني خللًا في الجهاز المفاهيمي للتيار، من حيث المدخلات والمخرجات والمراجعات، فأبو مصعب وأبو أيمن شددا عليه مرارًا، وعرضوه بكل وضوح وصراحة، بل وقاربوه بمقاربات شرعية تفسره بالخلل السلوكي والتربوي في محاضن التيار الجهادي.

- أولىٰ أبو مصعب وأبو أيمن اهتمامًا واضحًا بالأعطاب

السلوكية والشخصية والإيمانية التربوية، حيث رصدا عددًا من مظاهر الكبر والعجب والتعالي،وازدراء المخالفين ومهاجمتهم بحدة، بالإضافة لبعض مظاهر التأبي علىٰ النصيحة، والتعلق بمشايخ التيار دون غيرهم، ناهيك عن بعض تمثلات هذه الأعطاب من سوء للخلق والعشرة في بعض الاحيان.

- حدد أبو مصعب السوري جملة من الانتقادات الشرعية والفكرية والتكتيكية لتجربة «الجماعة الإسلامية» في مصر، وبالتحديد قضية المراجعات التي أعلنتها بعض قيادات الجماعة داخل السجون، واعتبرها إشكالًا فكريًا ومنهجيًا وبعيدًا عن لب المسار الجهادي المفترض.

- حجزت قضايا المراجعات الفقهية مساحة كبيرة من حجم عمليات النقد الذاتي، إذ كانت دومًا ما تكون ساحة للأخذ والرد والمراجعة والتراجع، وهي قضايا تتقاطع فيها المساحة الفكرية مع المساحة الشرعية، حيث كثافة تداخل المفاهيم والأفكار المتعلقة بالهوية الإسلامية، والغزو الفكري الغربي، وأحوال استضعاف المسلمين، مع اختيارات فقهية وعقدية، مجردة أو مُتأولَة تأويل متحيز ومعياري بنسب متفاوتة. تتضمن هذه المساحات ما يتعلق بقضايا الخروج علىٰ الحكام، وهي مسألة فقهية أدرجت في الدرس العقدي، وقضايا التترس وما يتعلق بها من تفجيرات وعمليات عسكرية بين المدنيين، وكذلك قضايا تحديث فقه الجهاد، ومسائل القواعد الأصولية ومنهجية إعمالها في واقع المواجهة، بالإضافة

لما استحدثه تنظيم الدولة الإسلامية من وسائل إعدام، وما صاحبه من جدليات فقهية وفكرية.

* النواحي الحركية والتنظيمية

وهي من الجوانب التي أخذت حيزًا كبيرًا من مساحات اشتغال النقد الذاتي عند الجهاديين، حيث رصدت النماذج الفردية بالتحديد ملامح ومؤشرات الخلل التنظيمي والحركي من حيث بنيته أو مساره أو مآلاته، وكانت كالتالي:

- مركزية اتخاذ القرار، حسب رؤية أبي الوليد المصري، وبالتحديد عند أسامة بن لادن وعبد الرسول سياف، وذلك في مرحلة الجهاد الأفغاني وما تبعه من إعلان الإمارة الإسلامية ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث أدت هذه المركزية للعديد من الأخطاء التي أثّرت سلبًا على مسار الجهاد الأفغاني.

- كان الواضح أنه ثمة قدر كبير من النقد الموجه لفكرة التنظيمات السرية الهرمية المغلقة، حيث تعرض كلًّا من أبي الوليد وأبي مصعب لمساوئ وسلبيات هذه الأنماط التنظيمية الحركية، وذلك لأنها تُواجه ببطش أمني شديد يفكك هذه التنظيمات فور سقوط أحد أفرادها في قبضة السلطات الأمنية، كما أنها تؤثر على طبيعة التنظيمات الجهادية الرامية للتمدد والانتشار وتوسيع نطاقات التجنيد، مما يضطرها لتضييق مساحات هذا التمدد.

- الخلل في جوانب الحس الأمني والوقاية من الثغرات

الأمنية والاستخباراتية، حيث رصدت الأدبيات النقدية الجهادية خللًا جليًا وواضحًا ومؤثرًا بشكل سلبي وحاد في مسار الحراك الجهادي المعاصر. فقد أكثر أبو الوليد المصري في رصد الكثير من الوقائع التي تدلل علىٰ الضعف الشديد في هذا الجانب، وكذا أبو مصعب السوري، حيث رصدها الأخير من خلال ضعف استراتيجيات الحراك التنظيمي السري، بالإضافة لغياب تكتيكات المناورات العصاباتية من التخفي والأمن الاتصالاتي والصرامة التنظيمية وغير ذلك. وقد اتفق الاثنان علىٰ حصول أخطاء واختراقات استخباراتية أثرت بشكل خطير في توجيه فصائل وجماعات وحركات جهادية مختلفة صوب انحرافات منهجية وشرعية وفكرية، أثرت سلبًا في مسيرة الحراك الجهادي.

- إشكالية توفير مصادر لتمويل العمل الجهادي هي من أبرز الإشكالات الحركية التي عانت منها الحركة الجهادية، حسبما رصدتها أدبيات النقد الذاتي، حيث مثلت فاعلًا وموجهًا لمساحة مهمة من صنع القرارات والاستراتيجيات وتقديم وتأخير مراحل وخطوات، وقد رصدها عن قرب أبو الوليد المصري من خلال العديد من الوقائع والأحداث التي عايشها بنفسه إبان مشاركاته في الجهاد الأفغاني، وقد أشار إليها أيضًا أبو مصعب السوري، ولكن بمنظور أقل حدة من أبي الوليد.

- برزت عند أبي الوليد انتقادات واضحة لضعف مستوىٰ الخبرات التقنية لاستخدام وصيانة الأسلحة والمعدات العسكرية،

فضلًا عن انتقاده هو وأبو مصعب لظاهرة التهاون في تقدير قوة العدو الامريكي/الغربي، والاعتماد علىٰ شيء من العنترية والتشاجع غير المنضبط.

- مثلت حقبة الجهاد السوري الحالي أرضية خصبة لإثارة حزمة من الأسئلة المشكلة حول جذور الجماعات الجهادية في الداخل السوري، وموارد تمويلها، وبناها التنظيمية المشوبة بقدر من الغموض، إذ إن هذا الجانب هو من أبرز جوانب النقد الداخلي المتداول في الحالة السورية.

* النواحي السياسية والاجتماعية

- اشتغل النقد الذاتي الجهادي بشكل بارز بنقد بعض أنماط القصور السياسي والاجتماعي التي فشت داخل الحركة الجهادية، والتي وصفها أبو مصعب بانخفاض مستوىٰ المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع، ولاعتباره أن المعركة اليوم أصبحت تدار ليست فقط في المجال العسكري والأمني، حيث يمكن للجهاديين والإسلاميين عمومًا أن يبلوا بلاءً حسنًا؛ وإنما أيضًا في مجالات السياسة والإعلام والاقتصاد، وحتىٰ في عالم المواجهة العسكرية والأمنية الذي أصبح للمستوىٰ المعرفي والعلمي في المواجهة دور كبير، ولذلك فإن انخفاض المستوىٰ العام عند غالبية الجهاديين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس علىٰ مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوىٰ خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله، ونتج

عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع وخلط بين دوائر المهم والأهم. ولأن أبا مصعب يرىٰ هزالًا في البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عمومًا، انضم هذا «الجهل السياسي» لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوىٰ إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي.

- أخذت الأدبيات النقدية تولي اهتمامًا مفصلًا بالملف الإعلاميو سلبيات الحراك الجهادي فيه، وأعطىٰ أبو الوليد تصورًا تفصيليًا للارتقاء بهذا الملف، إلا أنه كان مرتبطًا بسياق زمني وسياسي محدد، قد يكون غير مناسب لمستجدات الواقع الحالي.

- تبقىٰ باقي مساحات النقد في هذا الجانب مشوبة بقدر من الاتهامات المتبادلة بين الأطراف الناقدة، حيث الاتهام بالعمالة السياسية، أو الارهاب الاجتماعي، أو الطمع للزعامة، وغير ذلك من الدعاوىٰ.

* النواحي الأمنية والعسكرية

من الطبيعي أن يكون محور الانتقادات الأمنية والعسكرية ضمن صلب ظاهرة النقد الذاتي الجهادي، إلا أن الطبيعة السرية التي تستلزمها ضرورات التنظيمات الجهادية الأمنية تتطلب قدرًا من التحفظ والضبابية حول المعلومات المتعلقة بهذا الجانب. لكن علىٰ الرغم من ذلك؛ فثمة مجموعة من الانتقادات والملاحظات

الأمنية والعسكرية التي أشار إليها صراحة مصطفىٰ حامد وأبو مصعب السوري، كما وضع أبو بكر ناجي وعبد الله بن محمد وغيرهم مذكرات تشير لفلسفة التخطيط الاستراتيجي الجهادي بشكل عام، ولتنظيم القاعدة بشكل خاص، بالإضافة لعدد من الاصدارات المكتوبة والكتب والمحاضرات والدورات العلمية التي تناولت أساليب الاحتياط والخداع الأمني، والقواعد الأمنية السرية، وخطط المواجهة الفردية، ومقاومة ضغوط التعذيب والاعتقال والسجن، وتكتيكات التعامل مع الهواتف وأجهزة الكمبيوتر للتضليل أو إنجاز المهام، بالإضافة لبعض الدورات والرسائل المتعلقة بكيفية التدريب العسكري، واستعمال الأسلحة صناعة المتفجرات.

بيد أنه مع تنامي الحقبة الداعشية الجديدة؛ تغيرت أساليب المواجهة وأسلحة الضغط، إذ تطورت أجواء تنظيم الدولة الإسلامية لتصل لأعلىٰ درجات الإرهاب الإعلامي الموجه للرأي العام الغربي بشكل خاص، بشكل يشير لوعي ودراية القائمين علىٰ ذلك بنقاط ضعف الرأي العام الغربي ومناطق التأثير فيه، إذ مزجت استراتيجية التنظيم بين أعنف أساليب التصفية والإعدام (النحر والحرق)، وبين جودة إخراج مشاهد تنفيذ هذه الإعدامات من الناحية الفنية والتقنية، وهو الأمر الذي لاقىٰ حملة انتقادات شديدة في صفوف الجهاديين المنوائين للتنظيم.

وفي ذات الوقت؛ دفعت الشكوك حول تاريخ وخبرة قيادات

تنظيم الدولة الإسلامية القيادات الجهادية التاريخية للإبقاء علىٰ احتمالية ثبوت هذه الشكوك، خاصة في رجالات دوائر القيادة وصنع القرار في التنظيم، وهي التي تقع ضمن أبرز محاور النقد الأمني في الداخل الجهادي، لكن دون إبرازها أو التنبيه الملفت لها، ويبدو أنها رغبة في الحفاظ علىٰ النقاوة التي يشعر بها أبناء التيار الجهادي.

ثالثًا:

تفسير ظاهرة النقد الذاتي عند الجهاديين

نظرًا لخصيصة التداخل والتركيب التي تلازم الظاهرة الجهادية؛ فقد يلزمنا عند النظر التحليلي التفسيري والتفكيكي للحراك الجهادي بشكل عام، ولعملية «النقد الذاتي» داخلها بشكل خاص، البحث من عدة أوجه، ومن خلال عدة أدوات تفسيرية، عامة وخاصة:

* منظور علم الاجتماع الديني.
* منظور مردودات الواقع السوسيوسياسي العربي والإسلامي وتفاعلاته.
* منظور تحليلي نقدي للخطاب الجهادي.
* منظور سيكولوجي.

بالإضافة لعدة اقترابات مستحدثة تناسب خصوصية الحالة الجهادية:

* اقتراب الشيخ - التلميذ المتمرد.
* النوستالجيا العمرية.

* اقتراب الزعامة والمرجعية.

١- من منظور علم الاجتماع الديني

تقع التحليلات المتعلقة بالجماعات والتنظيمات الدينية ضمن مساحات اشتغال «سوسيولوجيا الدين»، حيث تتضمن جملة من المفاهيم والتعريفات التي قد تشارك بقدر ما في تفكيك الحالة الجهادية بشكل عام، والنقد الذاتي فيه ضمنًا. ولأننا هنا نركز علىٰ تجلية أسس وديناميات النقد الذاتي في الداخل الجهادي، فالأمر قد يقتضي تقريبًا لطبيعة التنظيمات الجهادية من حيث التكوين والتفكير والممارسة والتطبيق، وهو ما قد نجد له بعض الإجابات في حقل علم الاجتماع الديني.

فمفهوم «التنظيم» في هذا الحقل يشير إلىٰ تصور جمع من الناس تربطهم تراتبية داخلية وظيفية، تتميز بنوع من التنظيم وتهدف إلىٰ بلوغ مقاصد مشتركة، الأمر الذي يتطلب الإحالة إلىٰ سلطة تقر مجموعة من القواعد والضوابط الداخلية، كما ترسي آليات شرعيتها وطرائق الحفاظ علىٰ الوفاق حول الأشياء التي ينبغي الإجماع عليها من منطق إيماني[1]. بينما يمكننا وضع وصف أكثر وضوحًا وعمقًا للتنظيمات الجهادية، حيث وصفها بكونها مجموعات تعتقد أن استخدام القوة المسلحة هي أداة التغيير، سواءًا علىٰ المستوىٰ

(١) التعريف مستفاد من: «علم الاجتماع الديني: الإشكالات والسياقات»، سابينو أكوا فيفا وإنزو باتشي، ترجمة: عز الدين عناية، ص ١٢٣.

الداخلي القطري أو علىٰ المستوىٰ الكوني العالمي، كما أنها تتبنىٰ جملة من الأفكار التي تمثل نظرية المعرفة الخاصة بها، تبرز من خلال هذه الأفكار مسوغات منطق الخروج علىٰ السلطة السياسية التي تعتبر في هذه المنظومة الفكرية نظمًا غير شرعية[1].

بالنسبة للتراتبية الداخلية؛ فجل التنظيمات والتجمعات ذات الطابع الديني تتضمن نظامًا تراتبيًا داخليًا، علىٰ درجات متفاوتة من التعقيد، حيث تتطلب عملية تفهمها المرور عبر ثلاثة خطوات أساسية، تتعلق الأولىٰ بوصف كاريزما التأسيس لهذا التنظيم وتحليل التطورات التنظيمية المتولدة عنها، وتتعلق الثانية بتحليل آليات اختيار وانتداب العاملين والمنضمين للتنظيم، والثالث معني بدراسة القيادة وآليات إضفاء المشروعية علىٰ سلطتها. كما أن للسلطة الاجتماعية الدينية المتعلقة بهذا الشكل من التنظيمات -التنظيمات الدينية- أربعة أنماط أساسية، وهي موجودة بشكل بارز داخل التنظيمات الجهادية، ولكنها متداخلة فيما بينها فيه؛ أولها **النموذج الثيوقراطي** الذي يقدم نفسه علىٰ أساس من الاستمداد الديني المقدس/الشرعي. والثاني **النموذج التجمعي الانتخابي**، والذي يمكن أن يمثله نموذج المجالس الشورية المنوط بها ترشيح القيادات والولاة داخل مناطق هيمنة التنظيم. أما النموذج الثالث فهو **النموذج الكاريزمي** الذي يعتمد علىٰ مواصفات أو ملكات مادية

---

(١) بتصرف من: «تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية»، د. كمال حبيب، ص١٢١، ١٢٩، دار مصر المحروسة.

- كالسمات الشخصية القيادية والخبرات الدينية والعلمية والجهادية -أو معنوية- كالانتساب لنسل النبي ﷺ أو تزكيات من رموز جهادية أخرىٰ -تميزه عن غيره. أما النموذج الرابع فهو **النموذج التقليدي** الذي يستمد مشروعيته من عادة أو تقليد متجذر ومقدس مصحوب بإجلال متواصل عبر الزمن[1].

أمر أخير متعلق بسمة التجانس والتناسق الداخلي النسبي الموجود داخل هذه التنظيمات؛ حيث يتعلق الأمر بامتزاج التنظيم بهيكلية المنظومة المعرفية، وهو ما يحدث قدرًا من التوازن والتعاوض بين عدم الاتساق المعرفي، الذي قد يطرأ أحيانًا من خلال الخلافات التأويلية، وبين التلاحم الاجتماعي الناتج عن التماسك والممارسة التنظيمية، والذي قد يتأثر تبعًا للتحولات والتغيرات الاجتماعية التي قد تطال البيئة الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالتنظيم، وكلا الطرفين، المعرفي والاجتماعي التنظيمي يتأثران سلبًا وايجابًا، ويتوازنان ويتعاوضان لضبط المكون التنظيمي ككل، إلا أن موجات من التشققات التنظيمية والمعرفية قد تطرأ علىٰ البنية الفكرية والتنظيمية للتيار، وهو ما قد ينجم عنه عدة احتمالات، أبرزها ما نتناوله من عملية النقد الذاتي البنّاء، علىٰ الرغم من قلته وغلبه طروء الانشقاقات والانقلابات الفكرية والتنظيمية جراء ذلك، إلا أن بروز عملية النقد الذاتي هي التي يلزم

(١) بتصرف من السابق.

تسليط الضوء عليها، نظرًا للمكون البنائي التقويمي فيها.

٢- منظور مردودات الواقع السوسيوسياسي العربي والإسلامي وتفاعلاته.

لنتمكن من تفسير أهم مرتكزات وأفكار التيارات القتالية من خلال واقعها وسياقها السياسي والاجتماعي، وأنماط ردات فعلها وتجاوبها وتأثرها مع معطيات هذا الواقع وتقلباته؛ ينبغي النظر في نقاط نشأة هذه الأفكار، وعوامل تمددها وجاذبيتها، ووضوح كونها هي المنشاة لتدهورات الواقع وتأزمه، وبالتالي نمو العنف فيه، أم هي لاحقة برزت نتيجة فعل الواقع وتدهوره، وانسداد أنساق النظم السياسية الحديثة أمام استيعاب الآخر الإسلامي؟.

لاشك أن انتكاسات الربيع العربي، كونه أقرب الأحداث التي أغلقت آفاق الممارسة السياسية الديموقراطية «الغربية» في الواقع العربي، كانت أحد أهم مكونات بروز الظاهرة القتالية العنيفة في الآونة الأخيرة، ومع ازياد التعاطي المصلحي تمامًا مع ملف الثورة السورية من قبل المشرق والمغرب، وغرق المجتمع السوري ومحيطه في مستنقع العنف الراديكالي إلىٰ درجات باتت جذرية في فكر وممارسة المجتمع المحلي، السوري منه وغير السوري؛ فإننا هنا أمام ظاهرة معقدة متداخلة الأسباب والعوامل السياسية والاجتماعية، نحتاج لبيان الجزئي منها، وهو النقد الذاتي داخل التيارات القتالية، للبحث في جذور البنية الاجتماعية لدىٰ

هذه التيارات، وروافدها المعرفية، وأصل نشأتها الذاتية أو التبعية.

يشير مفهوم «الفعل الاجتماعي» عند عالم الاجتماع الأمريكي «تالكوت بارسونز» إلىٰ كل أشكال السلوك البشري التي تحركها وتوجهها المعاني الموجودة في دنيا الفاعل، وهي معانٍ يدركها الفاعل ويستدمجها في ذاته. فتعريف **الفعل الاجتماعي بذلك يكون** هو سلوك إرادي لدىٰ الانسان لتحقيق هدف محدد وغاية بعينها. **ومكونات الفعل الاجتماعي عند بارسونز تتضمن**: بنية تضم الفاعل بخصائصه وسماته، وموقف يحيط بالفاعل ويتبادل معه التاثير، وموجهات قيمية وأخلاقية تجعل الفاعل يميل الىٰ ممارسة هذا الفعل أو ذاك، وفعل هذا أو ذاك. وقد يكون الفاعل فردًا أو جماعة أو تنظيمًا أو حتىٰ مجتمعًا، وهذا الفاعل يقوم بهذا الفعل الاجتماعي من خلال موقف/مواقف، حيث يتفاعل عدد من الفاعلين الموجودين داخل هذا الموقف عبر جملة من العناصر الداخلة ضمن ثلاثة أنماط/موضوعات؛ فهناك **موضوعات فيزيقية** تتضمن الطبيعة الجغرافية والظروف المناخية والأجهزة العضوية للفاعلين، وهناك **موضوعات اجتماعية** تتضمن الفاعلين الآخرين الموجودين في الموقف، إضافة إلىٰ **موضوعات رمزية** تتعلق باللغة والقيم والمعايير. ويتصف «الفعل الاجتماعي» ضمن هذه النظرية بخصيصة النسقية، أي أن الفعل الاجتماعي يتكون من مجموعة من العناصر المراتبطة التي تتصف أقل وحدة فيها بالصفات نفسها التي تسم المركب الكلي. وقد شرح «بارسونز» من خلال نظريته ما

سمي بـ«وحدة السلوك Unit-Act»، وهو مفهوم يراد منه تفسير كيفية تحلل النسق إلىٰ وحدات سلوكية صغرىٰ تشكل البناء الكلي لنسق الفعل = أي هي الصورة المصغرة للفعل الاجتماعي[1].

وتمثل الأنماط الثقافية والمعرفية المحددات البنائية لأنساق الفعل الاجتماعي، وذلك من خلال تحديدها لقيم ومعايير وضوابط سلوك الفرد، وهو الأمر الذي طوره «بارسونز» لبلورة مفهومه لوصف سلوك الفاعل -فردًا أو جماعة أو تنظيمًا- كونه سلوكًا/ خضوعًا طوعيًا لا عشوائيًا، بمعنىٰ أن الضوابط والمعايير الثقافية والمعرفية مدمجة في الفعل الاجتماعي وليست مخضعة الفرد خضوعًا قهريًا، وقد حددت النظرية حدود هذه الطوعية ضمن أنماط بنائية ثابتة تنحصر أمام الفرد الخيارات السلوكية خلالها. ويقع فعل «النقد الذاتي» ضمن حدود الاختيار بين متغيرين من متغيرات النمط Pattern Variables المندرج تحت ما أسماه بارسونز «المعضلة Dilemmas» الثانية، حيث ينحصر فيها اختيار الفاعل بين السلوك القائم علىٰ التوجيه الجماعي وبين السلوك القائم علىٰ التوجيه الفردي. ويبدو أن التمايز التام بين الاختيارين غير موجود علىٰ الحقيقة، حيث يمثل فعل النقد الذاتي البناء والمفيد منطقة تقاطع بين الاختيارين، فمن خلال التوجيه الفردي الدافع لاختيار سلوك/فعل النقد الذاتي للتيار أو الجماعة؛ يمكن

---

(١) للمزيد انظر: «علم الاجتماع: النظريات الكلاسيكية والنقدية»، د. أحمد زايد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

استصحاب قدر من اعتبارات النسق الجماعي، والتي تتمظهر في ايجابية لغة وتوجيهات ومستخلصات الفعل النقدي. ثمة مفهوم آخر متعلق بنسق الفاعل؛ وهو مفهوم «المستلزمات الوظيفية» والذي يحلل أبعاد الفاعل الداخلية المختلفة، حيث تقابل كل وظيفة من وظائف الفاعل الأربع -التي حددتها النظرية- بعدًا من أبعاد الفعل الاجتماعي. فالدور العضوي للفاعل، وشخصيته، وعلاقاته الاجتماعية في محيط مجتمعه وبيئته، والمحتوىٰ الثقافي والمعرفي؛ كلها تسهم بشكل بارز في تولد «الفعل النقدي» داخل تيار أو تنظيم ما، لكنه ضمن معطيات نظرية الفعل الاجتماعي تبقىٰ في إطار تحدده الحدود الثقافية والمعرفية التي تَحُد نسق الفعل الاجتماعي.

في حالة النقد الداخلي في التيارات القتالية؛ يمكن اعتبار البيئة المحيطة بالأفراد القتاليين، قبل الشروع والانخراط في الفعل القتالي وبعده، وما تحويها هذه البيئة من ضغوط سياسية وأمنية واجتماعية واقتصادية، وما يحمله أفراد التيار من أفكار نازعة للعزلة والمفاصلة، بالإضافة لضغوط الشعور بالعجز عن التغيير الذي يريده الفرد في مجتمعه وبيئته الذي يحيا فيها، وتشبعه الاجتماعي وركونه النفسي والمعرفي لمنتجات وسجالات المنتديات والمواقع الجهادية، وهو الأمر الذي يبرز ميكانيزمات التفكير والتحرك من خلال السلوك القائم علىٰ التوجيه الجماعي. وهي عوامل نفسية واجتماعية متداخلة تشكل جزءًا من طبيعة تكوين النفسية والعقلية

القتالية. ولذا فتكرر العنف والمفاصلة في الخطاب النقدي أمر طبيعي، إذ أن الدوافع والعوامل تتشابه بقدر ما في حالة ممارسة النقد. ولأن النظر في وحدة السلوك Unit-Act يشير من خلال استقراء نصوص النقد إلىٰ نسقية الفعل النقدي ودلالاته علىٰ الفعل الكلي في غالبيته، مع اعتبار بعض الاستثناءات القليلة، فإننا نعتبر نموذج بارسونز نموذجًا تفسيريًا جزئيًا لفعل النقد الذاتي داخل التيارات القتالية، يشكل مع باقي الأدوات التفسيرية الأخرىٰ نموذجًا أقرب ما يكون لتفسير وتقريب الظاهرة القتالية بعامة، ومتضمنًا بالتبعية والتعقيد الملازم لها اقترابًا وتفسيرًا للنقد الداخلي.

٣- من منظور سيكولوجي

ثمة جملة من المفاهيم السيكولوجية التي تقترب من واقع الشخصية الجهادية المعاصرة، وبالتالي تقربنا بشكل ما لتحليل الظاهرة النقدية داخلها. يتعلق المفهوم الأول بما يوسم بـ«الاغتراب السياسي Political Alienation» والذي يشير إلىٰ أي شكل من أشكال كراهية السياسة، أو عدم الرضا عن بعض مناحي المجتمع، بالإضافة إلىٰ جميع أنواع المشاعر السلبية تجاه المؤسسات والمناصب الرسمية. ويتضمن هذا المفهوم أربعة أنماط تعبر عنه هي فقدان القوة السياسي، وفقدان المعنىٰ السياسي، واللامعيارية السياسية، والعزلة السياسية، والنمط الأخير هو الذي يرتبط بشكل بارز بدراستنا، حيث يشير مفهوم «العزلة السياسية Political Isolation» إلىٰ فكرة رفض المعايير والأهداف السياسية التي يعتنقها ويشارك فيها باقي

المجتمع، ويتضح هذا الشعور من خلال القناعة بكون الالتزامات السياسية المتعارف عليها اجتماعيًا هي مجرد «رسميات انصياعية Conformist Formalities» أو أن قواعد اللعبة السياسية غير شرعية وغير عادلة[1].

ثمة مفهوم تعليلي يسميّه بعض علماء النفس بـ«الشخصية الأساس»، أو بعبارة موازية = اختلاف الروافد الأولىٰ لأبناء التيار، وتباين الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية، والتجارب الشخصية. فنحن أمام نماذج للشخصية الجهادية متعددة؛ فهنا كمن أتىٰ من خلفية سياسية أيديولوجية، ليست إسلامية، ذات طابع علماني، أو ليست سلفية، ذات جذور جهادية وإخوانية، ومثل هذا النموذج أكثر انفتاحًا ومرونة وأقل صرامة من الناحية الشكلية أو الظاهرية، سواء في العلاقة مع المحيط الاجتماعي أو التنويع في الوسائل والأدوات في التغيير والمواجهة مع «الأعداء السياسيين»، سواء كانوا أنظمة سياسية أو أجهزة أمنية أو خصومًا سياسيين. ثمة شريحة واسعة من أبناء التيار أتت من خلفية سلفية، سواء كانت تقليدية أو حركية، وهذه الشخصية وإن كانت تتسم بغلبة الجانب العقائدي، إلاّ أنّها تتوافر -غالبًا- علىٰ درجة من العلم الشرعي، ما يجعلها أكثر اكتراثًا بما يدور من أحداث سياسية واجتماعية، وما يحد ثمن متغيرات. لكن حتىٰ في هذه الحالة فإنّنا نجد أنّ «التجربة

(١) للمزيد انظر: «سيكولوجية المشاركة السياسية»، د.طارق محمد عبدالوهاب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

الشخصية» تؤدي دورًا كبيرًا في تفسير التحول نحو التيار الجهادي، أو حتىٰ الانتقال من آراء ومواقف معينة إلىٰ أخرىٰ ضمن الدائرة الجهادية نفسها. وهنالك شريحة جاءت من خلفية ليست بالإسلامية، ولا بالأيديولوجية، وبعضها من تجربة متناقضة مع الالتزام الديني -الأخلاقي، وهي شخصية غالبًا ما تكون حادّة وأكثر تشدّدًا وانغلاقًا، تنتقل من النقيض إلىٰ النقيض، وتتمسك بالأيديولوجيا الجهادية بصرامة فكرية وروحية وسلوكية[1].

ثمة مفهوم آخر يرتبط بشكل جزئي بالشخصية الجهادية، وهو مفهوم «الرجل الصائب»، والذي وضعه كاتب الخيال العلمي الكندي «فان فوجت A. E. Van Vogt»، واختاره في وقت لاحق الكاتب البريطاني «كولن ويلسون Colin Wilson». والرجل الصائب -حسب النظرية- رجل مثالي، بمعنىٰ أنه يحيا في عالم من صنعه هو، ويبذل قصارىٰ جهده لتجاهل الجوانب الواقعية التي تتعارض مع ذلك العالم الذي صنعه، كما أنه يكره أن يفقد اعتباره واحترامه، وهو ما يمكن وصفه بحضور/غلبة «الأنا المثالية»، وهو الجزء من الشَّخْصِيَّة الذي يتضمن مِثاليّة التفوق الشَّخْصِي (المَرْمَىٰ والغايَة) الذي يسعىٰ إليها الفرد. ولكن يلزم هنا التنويه علىٰ كون هذه المفاهيم ليست متطابقة تمامًا بتعريفاتها علىٰ النماذج التي نتناولها في دراستنا، إلا أنها تتضمن مفاهيم مساعدة

(١) بتصرف من: «أنا سلفيٌّ: بحثٌ في الهوية الواقعية والمتخيلة لدىٰ السلفيين»، محمد أبو رمان، ص ١٤٨، ١٤٩، مؤسسة فريدريش إيبرت - الأردن ٢٠١٤.

لتفكيك بعض أجزاء الظاهرة مع الإقرار بتدخلات وتعديلات منهجية علىٰ المفاهيم لتناسب الظاهرة المدروسة.

يضاف للمفاهيم السيكولوجية المُقرِّبة لفهم الحالة الجهادية؛ مفهوم «تفكير الجماعة/ المجموعة Groupthink»[1]، وهو مصطلح نفسي وضعه عالم النفس الأمريكي إيرفينغ ليستر جانيس Irving Lester Janis (١٩١٨-١٩٩٠) في سبعينيات القرن المنصرم، قصد به إشكالية تنتاب جل المجموعات التي يشترك أفرادها في قدر كبير من التناغم والتجانس الفكري والحركي، إذ يقارب حصول هذا التجانس بهذا المفهوم الذي يدفع المجموعة غالبًا لتجاوز الواقعية التقييمية وفتح أفق المسارات البديلة لحساب التوافق والإجماع الجماعي. وليس المفهوم، من وجة نظري، قاسرًا في تنزيل جزء منه علىٰ الحالة الجهادية؛ بل تشترك فيه كل التنظيمات والجماعات والتجمعات التي تعتمد النظم المؤسسية في إدارة وصنع القرار، أو بالأحرىٰ الأنساق الهرمية في التنظيم والإدارة. ويرىٰ جانيس أن ظاهرة «تفكير المجموعة» لها جملة مخرجات تدلل علىٰ تحققها في المجموعة/ الجماعة؛ أبرزها الضغوط Direct pressure on dissenters التي يتلبس بها غالب الأفراد جراء طروء أفكار تشكك في صوابية وحجية قرارات القادة، ومنها تتكون حالة من الرقابة الذاتية المانعة من التجرؤ علىٰ المخالفة Self-censorship، ومنها تصور ديمومة الإجماع

(١) Groupthink, by Irving L. Janis Published in Psychology Today, Nov. 1971.

Unanimity حول الأفكار والقرارات، وهي إشارة إلىٰ نضوب الحس والتفكير النقدي والقدرة علىٰ اختبار الحقائق أو ما يشبه الشك المنهجي لدىٰ أفراد تلك المجموعات، كما أنه ثمة شعور وهمي مانع ومحصِّن Illusion of invulnerability ضد استشعار المخاطر التي قد تجنيها هذه الأنساق من التفكير. ويضاف أيضًا إشكالية التبرير والعقلنة المتوهمة Collective rationalization الدافعة للطمئنة والتفائل غير الواقعي في بعض الأحيان. وكذا علىٰ مستوىٰ المعايير والمحددات الأخلاقية Belief in inherent morality والتي تصبح عرضة للتبعية المطلقة لنسق المجموعة وقياداتها، أي عرضة للتهاوي والتغير غير الإيجابي. أضف إلىٰ هذه الحزمة من الإشكاليات إشكالية القولبة الشرّية للآخر المخالف Stereotyped views of out-groups، والتي تجهز قوالب اتهام وحكم جاهزة للمخالف. ثم إن شعورًا بالوصاية والحراسة الفكرية Self-appointed mindguards يتسرب ويتجذر لدىٰ أفراد المجموعة، رغبة في حماية جناب هذا النسق في التفكير والحركة وصنع الأفكار.

رابعًا:

في التحليل النهائي لظاهرة النقد الذاتي الجهادي

عبر خطوات منهجية سابقة حاولنا تفكيك المفردات والمركبات المكونة للظاهرة الجهادية، في محاولة لبلورة نتيجة تحليلية لعملية النقد الذاتي الداخلي. والحاصل أن الظاهرة الجهادية مخصوصة بنسق معرفي ديني يتشكل من خلال دائرتين متداخلتين، الأولىٰ دائرة واسعة تتضمن عددًا من المرتكزات والمرجعيات المعرفية التي تستمد منها أطر النسق، وهذه الدائرة من المشتركات بين الحركة الإسلامية السنية ككل، تعتمل فيها مناهج التأويل النسقي -حسب كل تيار- التي تأخذ بتلابيبها صوب المسار التأويلي الذي تتبناه. وتتضمن هذه الدائرة التراث الفقهي والعقدي السني بشكل عام، مصحوبًا بسمة انتقائية للنصوص -تلقائية أو متقصدة-، وتابعة لطبيعة النسق المعرفي، إلا أنه ثمة اهتمام أكبر منصب علىٰ أدبيات شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد عبد الوهاب وبعض رموز الدعوة النجدية الأوائل. أما الدائرة الثانية فهي دائرة ضيقة تضم رموز الحراك الجهادي المعاصرين، من مثل الدكتور عمر عبد الرحمن، والدكتور أيمن الظواهري، وأبو مصعب

السوري، وأبو محمد المقدسي، وأبو قتادة الفلسطيني وغيرهم، إلا أن هذه القائمة غالبًا ما تتعرض للتحديث والتغيير تبعًا لمستجدات الحراك الجهادي وتبعًا للتغيرات المعيارية التي تطرأ على بعض المجموعات الجهادية، حيث تمثل بعض الفتاوى والمواقف (الثوابت) معايير لتقييم مدى صوابية الرموز والقادة على الساحة.

من الأمور الملحوظة في خطاب النقد الذاتي الجهادي هو وجود «العقد الخطابية» -حسب منهجية التحليل النقدي للخطاب سالفة الذكر-، حيث تتقاطع موضوعات وقضايا معينة في جل الخطاب النقدي، تتعلق بشكل بارز بسمتين؛ الأولى هي سمة الضعف العلمي «النسبي» من جانب التأصيل، ومن جانب البناء الفكري والشرعي، بينما تتعلق السمة الثانية بقصور في الوعي بالواقع وقوانينه وأدواته ومتغيراته، وكلا السمتان تنتجان بشكل منطقي مسارات فاقدة للرؤية والتخطيط الاستراتيجي، وبالتالي الاتكاء -غالبًا- على آلية التحرك بـ«رد الفعل» لا المبادرة بالفعل.

ينفرد نموذج النقد الذي مارسه أبو مصعب السوري في كونه بقي متقبلًا ومدرجًا ضمن الإطار المرجعي النسقي الجهادي، على الرغم من كم الحمولة النقدية العالية في نموذجه، إلا أن السمة «الكاريزمية»، كقيادي ميداني وكمرجع عام، التي يتمتع بها أبو مصعب أبقت على مكانته داخل التيار، بالإضافة لانفراده وأسبقيته برسم اسراتيجيات إصلاح وتقويم للتجربة الجهادية المعاصرة. كما أنه ثمة أمرين مترابطين أبقيا الرجل في هذا

الوضع؛ وهما غيابه -بسبب السجن حسب روايات بعض قيادات القاعدة- عن الخلاف الجهادي الجهادي في الحالة السورية الحالية، وبقاء تزكيات رموز التيار الجهادي بعامة له، وهو ما جعله بعيدًا عن التسكين في قوالب التصنيف والتعصب الدائر في الحالة السورية مستبقيًا ما جناه من تزكيات سابقة.

أما علىٰ المستوىٰ السيكولوجي؛ تبرز سمة إيجابية في النقد الذاتي الجهادي تتعلق بتجاوز بعض المفاهيم السيكولوجية المصاحبة -في الغالب- للشخصية الجهادية حسبما رصده النقد، حيث تتمثل صورة «الرجل الصائب» بشكل بارز في شخصية «الجهادي»، بوعي مرتبط بدرجة من القداسة والوثوقية في الأفكار المتبناه، أو بغير وعي ولكنه مكتسب من «الفعل الاجتماعي» داخل البيئات الجهادية، وتظهر في أدبيات النقد التصريح بشكل مكثف بهذه السمة -الرجل الصائب- وسلبياتها وعيوبها السلوكية والروحية المرتبطة في الإسلام بصفات الكبر والعجب والتعالي. إلا أن سمتا الاغتراب والعزلة السياسية -وإن كانتا معللتين بعلل وجيهه- تظلّا حاضرتين في خطاب أبي مصعب وأبي أيمن، اعتمادًا علىٰ أصول فكرية وشرعية لم يصبها خطاب النقد الذاتي. إلا أننا نلمس قدرًا واضحًا من إشكاليات «تفكير المجموعة Groupthink»، والتي تفسر من خلال أعراضها وأعطابها جزءًا من الإشكالات البنيوية والعملية التي تنتاب مجمل ظاهرة النقد الذاتي لدىٰ الجهاديين.

اقترابات مستحدثة لفهم النقد الجهادي:

* اقتراب الشيخ – التلميذ المتمرد

يمثل هذا الاقتراب مدخلًا مناسبًا لاستيعاب دوافع شريحة من الحالة النقدية داخل التيار الجهادي، إذ إن التدقيق في مضامين الحوارات النقدية، من حيث لسانيات الخطاب، ونوعية المحاججات، ونسق خلط اللوازم القولية والفعلية، واختيارات عناوين البيانات والرسائل والردود؛ بالتدقيق في قطاعات منها يظهر ما يوحي بمنطق سلطوي، فالشيخ يوجه ويهذب ويقوم مسار تلامذته وأتباعه، ووقتما تظهر أمارات حيدة أو خروج عن النسق الذي يخطه الشيخ؛ تعلو لغة الخطاب بشيء من الوصاية نحو تقويم تمرد التلميذ (نموذج خلاف المقدسي والزرقاوي)، وبيان قلة حكمته وخبرته، بل ووسمه بالحماسة وشيء من التهور. نحن هنا إذن أمام شخص يدفعه رأس ماله الرمزي لمواجهة أخطاء من يفتقرون لما يحوزه الشيخ، بل وتدفعه دوافع شرعية لبسط نفوذه وشرعنة وصايته علىٰ من ضل الطريق وحاد عن الجادة، من وجهة نظره.

ينبغي التأكيد علىٰ أن هذه الطريقة ليست مائزة للنقد الجهادي عن غيره، بل هي سمة مطردة غالبًا في جل أنماط الحركات والتنظيمات الإسلامية، إلا أنها تمثل أداة تتداخل مع غيرها من الاقترابات والتفسيرات لانتاج صورة أقرب ما تكون للوضوح والمفهومية.

* النوستالجيا العمرية

تشير الدلالة اللغوية لمفردة النوستالجيا إلىٰ ميل وحنين عقلي ونفسي إلىٰ الماضي المفعم بالانتصارات والأحداث التي يُرجىٰ حصولها في الحاضر. بينما تضفي إضافة العمرية للمصطلح حمولة دلالية أكثر دقة تشير إلىٰ رغبة في استحضار الشخصية العمرية الفارقة بين الحق والباطل، والناصرة للمستضعفين، والجالبة لانتصارات وفتوحات لعموم المسلمين، والمستصحبة حالة التقلل من متاع الدنيا وزينتها، ومن تكاليف التسلط التي تتطلبها نظم الحكم المعاصرة. هذا الشعور يضفي قدرًا من التبرير الدافع والمشرعن لآليات التغيير السياسي التي تمارسها التيارات الإسلامية بعامة، والجهادية بخاصة، إذ إنه، وفق هذا التفسير، يلزمنا العمل من أجل مصلحة الدين، وتحقيق العدل، وبسط الأمن، وإقامة الشريعة، وفق آلية «تختزل» ديناميكيات التغيير في شخصية واحدة.

ولأننا في الواقع العربي والإسلامي نعاني من أزمات وعقبات الإجابة عن أسئلة النهضة والتقدم والتحديث، في مقابل واقع يزداد في روافد التخلف والتأخر والعلمنة المفرطة؛ فإن للحركات الجهادية/ القتالية حظًا من محالوة الإجابة عن سؤالات الإصلاح والنهوض واستعادة الزعامة الحضارية للإسلام، وفق منظوماتهم المعرفية والفكرية الخاصة. ولذا فمفهوم الأصالة والمعاصرة، من حيث كونهما موصولين ببعضهما متعاضدين، أو كونهما منفصلين

عن بعضهما متناقضين، يبقىٰ أسير التفكير النمطي في كلا الطرفان. ويتبنىٰ الطرف الجهادي/ القتالي في غالبه الخيار الثاني الباحث عن الإجابة فقط ضمن واقع استمداداته التراثية، والذي يرىٰ فيه الصورة النهائية التي ينبغي أن تكون. ولسنا هنا بصدد التنقص من هذه الرؤية؛ إلا أننا نكشف مواطن الغلو في الانشغال والاقتصار عليها، مع استعداء مستجدات ونواتج الواقع استعداءًا مطلقًان وهو ما يجعل من التصورات السلفية بشكل عام، والجهادية منها بشكل خاص، تعاني من الوقوع بين خيارين مشوهين؛ الأول النموذج الطوباوي المقتصر علىٰ الحل القديم، والثاني مازج بين النموذج القديم والحديث من غير وعي كافٍ لتفاصيل وتعقيدات الحداثة، وبالتالي فقدان بوصلة تحديد الإيجابي منها والسلبي.

* اقتراب الزعامة والمرجعية (الظاهرة المشيخية)

نستعير هنا نحتة الدكتور كمال حبيب = الظاهرة المشيخية، والتي قد تبرز قدرًا مما نرومه من هذا الاقتراب. لكون الحالة الجهادية بشكل عام تتسم بالحركية المفرطة والدائمة، ولكونها دائمة التفاعل مع الأحداث الكلية والجزئية في النظام العالمي؛ فإن ثمة نزوع بقدر ما لدىٰ قيادات الحركة الجهادية لضبط فرط وديمومة هذه الحركية والتفاعلية. ولأن التيار الجهادي فيما بعد الحادي عشر من سبتمبر بات معتمدًا علىٰ اللامركزية التنظيمية إلىٰ حد كبير؛ فكان لزامًا علىٰ منظري الحركة وقياداتيها أن يحافظوا علىٰ توحيد المرجعيات والزعامات النظرية والميدانية حفاظًا علىٰ

التماسك النسبي للحالة بشكل عام.

بيد أنه منذ الجيل الأول للتيار الجهادي وبوادر أزمة الزعامة والمرجعية نابتة بقدر ما، غابت جزئيًا بعد انفراد بن لادن بها، والذي انتقل من استراتيجية الجهاد المحلي إلىٰ الجهاد الأممي[1]، ثم ما لبثت أن برزت أزمة الزعامة بعد وفاته في الجيل الثاني، خاصة في حالة أبي مصعب الزرقاوي واختلافاته مع المقدسي والظواهري في منهجيات واستراتيجيات المواجهة. ومع تقلبات سيد إمام وسجالاته مع أيمن الظواهري، وبدايات نزوع نحو الاستقلال الحركي والفكري للدولة الإسلامية في العراق (الزرقاوي)، بدأت حدة النزاع الزعاماتي تظهر في الخطاب الداخلي الجهادي بشكل واضح، لكنها بقيت داخل أروقة السجال الجهادي الجهادي ومنتدياته، وحتىٰ لحظة إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، إذ حسمت عقبها أزمة الزعامة بفصل القيادات التاريخية عن الجيل الجهادي الجديد، وصعدت قيادات تنظيم الدولة الإسلامية نحو قمة المشهد الجهادي، وبأدوات وخطاب أكثر جاذبية بعيدًا عن كاريزما الخطاب والتنظير.

بدأت النسخة العراقية للتنظيم بقيادة أبي مصعب الزرقاوي الذي ارتبط بعد زيارات لأسامة بن لادن في أفغانستان بالخط الفكري والمنهجي لتنظيم قاعدة الجهاد، وعليه أسس الزرقاوي

(١) للمزيد في تحليل ذلك انظر: «القاعدة الصعود والأفول: تفكيك نظرية الحرب علىٰ الإرهاب»، فواز جرجس، ترجمة محمد شيًا، مركز دراسات الوحدة العربية.

تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين في العام ٢٠٠٤، إلا أن خلافات استراتيجية أنبتت بذور الشقاق بين الفرع العراقي والأصل في أفغانستان، حيث تبنىٰ الزرقاوي لزوم مواجهة العدو الشيعي بالتوازي مع مواجهة الاحتلال الأمريكي وحلفائه، وهو الأمر الذي كان يراه الظواهري تشتيتًا للجهود من الناحية المرحلية. وفي العام ٢٠٠٦ تم تأسيس «مجلس شورىٰ المجاهدين» الذي ضم عددًا من الكتائب الأخرىٰ بجانب تنظيم القاعدة، ثم أعلن تنظيم «دولة العراق الإسلامية» في أكتوبر من ذات العام، وبعد أن قتل الزرقاوي في يونيو ٢٠٠٦. وعقب مقتل الزرقاوي تولىٰ المصري أبو حمزة المهاجر قائد كتيبة «عائشة أم المؤمنين» المتنفذة في قيادة قاعدة العراق قيادة التنظيم، وبعد توليه سعىٰ لإنشاء دولة أو إمارة إسلامية تجمع شتات الفصائل السنية، لكن سياسته كانت أكثر حدة من سلفه، فبعد إنشاء دولة العراق الإسلامية بإمرة أبي عمر البغدادي؛ عمد المهاجر الذي كان القائد الفعلي للدولة -بحسب رسالة قاضي الدولة أبي سليمان العتيبي لقيادة القاعدة في أفغانستان- إلىٰ إجبار الرافضين لمشروع الدولة من الفصائل الأخرىٰ علىٰ بيعة البغدادي حتىٰ وصل إلىٰ قتال المنشقين عنه من تنظيم القاعدة ومن الجماعات الأخرىٰ .

تسبب نهج المهاجر إلىٰ نشوء ما يعرف بمجالس الصحوات بمساعدة أمريكية وإقليمية عربية -وهو خليط من العشائر السنية والفصائل التي كانت تقاتل الاحتلال الأمريكي- لطرد تنظيم دولة

العراق الإسلامية من مناطق الوسط والشمال السنية خاصة محافظة الأنبار وهو ما نجح بسرعة رهيبة بعد أن فقد التنظيم حاضنته الشعبية ولجأ إلىٰ الصحاري والمناطق النائية وقلت عملياته بنسبة كبيرة في مواجهة المحتل والقوات العراقية المساندة له واستمر علىٰ هذا الحال، إلا أن أواخر فترة المهاجر شهدت تصاعدًا في العمليات ضد الحكومة العراقية لم يلبث حتىٰ قتل المهاجر والبغدادي في غارة أمريكية علىٰ محافظة صلاح الدين. تولىٰ بعدها قيادة الدولة الأمير الحالي لداعش «أبو بكر البغدادي»، وفي عهده حصلت الثورة السورية التي كانت متنفسًا لتنظيمه، فتدخلت الدولة تحت مسمىٰ «جبهة النصرة»، حتىٰ حصل الخلاف بينها وبين قيادة الدولة في العراق بعد إعلان البغدادي عن حل جبهة النصرة وإعلان «الدولة الإسلامية في العراق والشام» = داعش.

من خلال وثيقة سميت بـ«خطة إستراتجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية»[1]، يمكن تتبع نمط التخطيط الاستراتيجي الذي يتبناه تنظيم الدولة، حيث تذكر الوثيقة: (فمشروع دولة العراق الإسلامية هو مشروع الأمة كلها، و هو هدف كل المجاهدين الصادقين في العراق بلا شك، وما سنقدمه من رسم لاستراتيجية هذه المرحلة لها، والتي نعتبرها مرحلة تخطيط وإعداد مهمة بل ومحورية خطيرة، هو بلا ريب يصب في

(١) نشرت عام ٢٠٠٩ علىٰ منتديات «شبكة حنين».

صالح بقية المجاهدين الصادقين ممن لهم وجهة نظر مخالفة من حيث الأسلوب والطريقة، سائلين المولىٰ ﷻ أن يمكّن لدولة الإسلام في العراق، وأن يجمع المسلمين حول رايتها، لتكون عزًا ونصرًا وفخرًا للمسلمين في كل مكان. وسيكون ذلك وفق خمسة فصول: الأول: السعي الجاد لتوحيد الجهود. الثاني: التخطيط العسكري المتوازن. الثالث: مجالس الصحوة الجهادية. الرابع: العناية بالرمز السياسي. الخامس: طمأنة المخالفين). وتذكر الوثيقة أيضًا: (... ولذلك فهذه المرحلة الحالية تحتاج إلىٰ خطة متوازنة في المواجهة لكي يكون لها ثمرة واضحة في المستقبل المنظور، بحيث يُقلل من هامش الاجتهاد الميداني لدىٰ أمراء الكتائب والولايات، لأن تخويل التخطيط ورسم الاستراتيجية للأمراء سيجعل هناك تباينًا وتفاوتًا في الآراء والاجتهادات، مما يقلل من أثر العمل الجهادي الإيجابي لاسيما مع تعدد الجبهات والأعداء والأهداف المراد استهدافها. ولهذا لما كانت الاستراتيجية موحدة في مرحلة ظهور مجالس الصحوة كان الأثر واضحًا وظاهرًا وملموسًا، وعلىٰ ضوء هذا نعتقد بأنه من الواجب أن تكون الخطة العسكرية في هذه المرحلة متشكلة من خلال ثلاث سياسات أو خطوط عريضة مهمة وهي كالتالي: تسع رصاصات علىٰ المرتدين ورصاصة علىٰ الصليبيين، التطهير، الاستهداف ... ولهذا فمن الأهمية بمكان تدمير البناء الصليبي = الجيش والشرطة العراقية، بحيث تبقىٰ القوات الصليبية بين إرادة انتشال نفسها من

هذا المأزق بأسرع وقت وبين البقاء فيه عاجزة عن إتمام البناء الذي أزمعت علىٰ بنائه بشكل جيد، فتواجه بذلك الموت البطيء. والمقصود بهذه السياسة أن نرفع معدل الخوف من إمكانية الإصابة والموت عند الانتساب لهذه الأجهزة علىٰ معدل إمكانية السلامة والاستمتاع بالوظيفة و المرتب، حتىٰ يقلل من معدلات الانضمام لتلك الأجهزة ويزيد من معدلات الهروب من الخدمة والابتعاد عن هذه الوظيفة. وهذا لا يكون خلال شهر أو شهرين بل يحتاج إلىٰ عمل متواصل ومستمر حتىٰ نحقق هذه المعادلة المهمة. ولأجل الوصول لهذا لا بد أن يكون استهداف المنتسبين للجيش والشرطة علىٰ نطاق واسع بحيث لا يتوفر في أي منطقة يتواجدون فيها أمانٌ مطلقًا يشجع غيرهم علىٰ الالتحاق بتلك الأجهزة، وحتىٰ يكون انتشار القتلىٰ والمصابين كبيرًا بحيث يكون هذا مانعًا لمعارفهم وأقاربهم من الدخول في دائرة استهداف المجاهدين والتعرض لمثل هذه المصائب التي يرونها تلحق بكل منتسب بالجيش والشرطة، ومن الضروري أن يترافق هذا مع سياسة إعلامية دعائية تجرّم الانضمام لتلك الأجهزة وتجعله عارًا يلحق بالمنتسبين إليها، بالإضافة إلىٰ تعزيز الخوف من خطورة استهدافهم من قبل المجاهدين كرسائل التهديد العلنية والتي يعقبها التنفيذ الصادق لها، لأن هذا أوسع انتشارًا وأكثر مصداقية في تعزيز هذه الأمور، مع تنويع الخطاب الموجه لهم بما يناسب مختلف التوجهات والأفكار، متأسين في ذلك بكتاب الله ﷻ الذي جمع بين

الترهيب والترغيب. فيجدر الاهتمام مع الجانب العسكري الصارم بالجانب التوعوي ذي الخطاب اللين المشفق المعزز بالحكم الشرعي لهذه الأجهزة في الدنيا و الآخرة)[1] .

من الواضح من خلال الوثيقة السابقة أن الدولة تولي اهتمامًا كبيرًا لعملاء الداخل العراقي، وهو ما قد لوحظ أيضًا في ممارسات التنظيم في سوريا.

قد يكون الخلاف المنهجي والفكري الذي بدأت تتضح معالمه بين القاعدة وداعش هو من أبرز مظاهر فراغ الظهير الفكري والتنظيمي الذي يمكن أن يحتمي به تنظيم الدولة، فلاشك أن تنظيم القاعدة قد اكتسب خبرة تنظيمية وعسكرية جيدة عبر فترات الحرب مع الروس، ثم إبان الدولة الطالبانية وما أعقبها من الحرب مع الولايات المتحدة، ولم يكن من الأنجح للمشروع الجهادي القاعدي تفكك مكوناته، بل كان من الأجدىٰ أن تتقوىٰ فصائله وكتائبه بعضها ببعض، وهو ما كان الظواهري يسعىٰ لتحقيقه من خلال تجاوز المخالفات التنظيمية التي ارتكبها تنظيم الدولة. تكمن الإشكالية الاستمدادية لداعش في ضبابية تاريخ قياداته الحاليين -حتىٰ بالنسبة للظواهري- وهو ما يضع علامات استفهام حول الإصرار علىٰ مفاصلتهم لقيادات تنظيم القاعدة الأوائل، بل والاستعلان بمخالفتهم، كما يضع الكثير من التساؤلات حول كم وكيف

(١) وثيقة «خطة استراتجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية».

التمويل الذي يتحصلون عليه من دون دعم من تنظيم القاعدة الأصل.

واللافت أن قيادات ورموز الجيل الثاني التاريخية، خاصة الظواهري والمقدسي، أجمعت علىٰ رفض «اختطاف» داعش لقيادة الحالة الجهادية الحالية، في نفس الوقت الذي يصر فيه خطاب داعش علىٰ المفاصلة الحركية والمرجعية لهذه القيادات، بل وقتال من يبقي علىٰ بيعته وتبعيته لهم (جبهة النصرة)، وهو ما جابهه الظواهري بمحاولة «بائسة» لإنقاذ التشظي الأخطر للتيار الجهادي، وذلك بفصل دولة العراق الإسلامية عن تلك التي في سوريا، والإبقاء علىٰ زعامة أبي محمد الجولاني (مسؤول النصرة) علىٰ الجزء السوري، وهو الأمر الذي وُوجِه من قبل أمير تنظيم الدولة أبي بكر البغدادي بفرض منطق الأمر الواقع والقوة، وواجه تمرد القاعدة في سوريا (النصرة) عليه بالقتال.

ولأن الحالة الجهادية كأفق نظري وواقع عملي، مسكونة بمسألة الهوية والنقاء، والتفسير الأحادي، واحتكارية التمثيل للإسلام، إضافة لنزعة نحو الشكّ العصابي بالآخر «القريب» (أسوة بأي أقلّيّة محاربة)؛ فإنه تيار يتشظىٰ باستمرار، ويحمل عوامل انقسامه في ذاته، والتي تتفجر لدىٰ الصراعات الداخلية، التي قد تكون أحيانًا صراعات نفوذ تعبر عن نفسها كصراع علىٰ الدين نفسه، هذا لا يعني التقليل من قيمة الاختلافات النظرية، أو أنها مجرد تبرير أو غطاء لاحق، وإنما لتبيين تداخل الأيديولوجي

والميداني في هذه الصراعات، واختلاف سطوة نظام العقيدة علىٰ نظام القوة بين الجهاديين. وهذا ما تسبب في أن أعنف معارك التيار الجهادي يخوضها داخل التيار، بتهم العمالة أو الكفر أو الردّة، بحكم أن الآخر القريب يهدد احتكارية التمثيل للمشروع الجهادي أكثر من الآخر البعيد الذي يساعد في منح المشروعية لعدوّه، ويضاعف ذلك العامل الطائفي للصراع في المشرق، حيث يقدم تنظيم داعش نفسه كمدافع عن سنة المشرق ضد الميليشيات الشيعية، وكممثل سياسي لهم، ما يجعل أي مشروع سنّي مغاير، تشكيكًا في سردية المشروعية هذه، وهو ما أدىٰ إلىٰ أن معظم ضحايا التنظيم هم من السنة أنفسهم، ومن الجماعات الجهادية والثورية التي تحارب الأنظمة الديكتاتورية التابعة للحلف الإقليمي الإيراني (الشيعي)، ما أدىٰ إلىٰ نشوء دعاية منافسة تنسب التنظيم إلىٰ العمالة للشيعة أيضًا[1].

ثمة جانبان فيما يتعلق بالخطاب الجهادي وتأثير داعش فيه: **الأول من ناحية أساس المشروعية الجهادية**، والتي تتشكل هنا بشكل مزدوج، محاربة العدو الخارجي الذي يمثل الكفر الصريح من جهة (أمريكا، الشيعة، الأنظمة العربية)، ومحاربة العدو الداخلي الذي يمثله الآخر المسلم بحجة التمييع أو العلمانية أو العمالة أو حتىٰ الردّة، من جهة مقابلة. ولعلّ أهمّ آثار تنظيم

(١) ورقة: «استراتيجيات صراع الإخوة الأعداء»، أحمد أبازيد، نشرت بمتدىٰ العلاقات العربية والدولية، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٤م.

داعش علىٰ الخطاب الجهادي وسجالاته، هو أنه قدّم -حدّ الطغيان- الجانبَ الثاني في منح المشروعية علىٰ الأول. **والثاني من ناحية شكل الخطاب التعبوي**، فبينما اعتمد الإخوان المسلمون خطاب الدعوة، واعتمدت القاعدة وحركات المقاومة خطاب الحق، فإن الخطاب الطاغي لدىٰ داعش هو خطاب القوة والتغلب وقهر الآخر، وهو ما يشكل عامل جذب مهمًّا للجهاديين الشباب، ولذلك فإن استمرار الانتصار والإنجاز الميداني ضروري للمحافظة علىٰ الزخم التعبوي والقدرة علىٰ تجنيد المزيد من المقاتلين ومنح المصداقية والمشروعية للتنظيم. ولئن كان الكلام هنا عن الخطاب المؤثر بمن ينتمون لأيديولوجيا التيار الجهادي العالمي، فإن ثمة عاملًا مهمًّا لا يمكن إغفاله اعتمد عليه تنظيم داعش -خاصة- في تجنيد مئات -وآلاف- المقاتلين من الفصائل السورية والمجتمعات المحلية، مستغلًّا بذكاء الخلافات العشائرية والعداوات الشخصية والفصائلية، وهو كونه يوفر مسار انتقام، سواء من جبهة النصرة أو الجيش الحر أو عشائر أكثر هيمنة. لكن هذا الخلاف النظري هو في الوقت نفسه خلاف استراتيجيات عملياتية وقيادات ميدانية، كان اعتبار عموم الشيعة عدوًّا استراتيجية الزرقاوي التي لم ترض عنها القاعدة التي اعتبرت أن أمريكا هي الأولوية، كما أن اعتبار أن إسقاط النظام أولوية قبل التفكير بإقامة دولة إسلامية كانت استراتيجية جبهة النصرة التي لم ترض عنها داعش التي اعتبرت الجميع مرتدّين في سبيل هيمنتها الأحادية، ولذلك فهو تنافس علىٰ

الأرض والموارد وطرق الإمداد أيضًا، لأن مشروع السلطة يقوم علىٰ الأرض لا في النظرية، وهو ما جعل المعارك الأعنف بين المختلفين أيديولوجيا هي في مناطق الثروات الطبيعية وطرق الإمداد. هذا الإطار النظري العام للتنافس علىٰ الرأسمال الرمزي والسلطية المرجعية ضمن الخطاب الجهادي مقدمة لفهم الصراع ما بين تنظيم داعش وجبهة النصرة في سوريا[1].

(١) السابق.

خـاتـمـة

لا تزال أزمة البحث في القضايا التفصيلية الدقيقة والمعقدة المتعلقة بالحركة الإسلامية وتياراتها المختلفة عقبة منهجية علمية كؤود تحول دون تحقيق صورة أقرب ما تكون لواقع الحالة الإسلامية المجرد. ولا يزال أبناء الجسم الصلب للحركة الإسلامية يستشعرون الحرج والقلق حيال القرب من عتبات المرحلة العلمية المنهجية المهمة وهي «النقد»، إذ أن أهم خطوات تجويد المسار وإنضاج الحركة وتخصيب فضاء الفكر؛ هي مراجعة وتقويم وتقييم السوابق لإنجاح اللواحق.

فالنقد الذاتي «البناء» إذن هو أصلب لبنات البناء الفكري/ المعرفي والحركي للحركة الإسلامية، وتكرار التلبس بالخجل من تفعيله وتهذيبه هو أخطر مؤشرات انتكاسة الحركة الإسلامية بعامة في حقبة ما بعد الربيع العربي، المنتكس أصلًا!

حاولنا من خلال الدراسة أن نتعمق داخل تفاصيل الممارسة النقدية الذاتية للتيار الجهادي، كونه رقمًا فاعلًا رئيسيًا في معادلة الحركية الفكرية والسياسية والاجتماعية للعالم العربي والإسلامي في الراهن. ولأن تناول التيارات الإسلامية بعامة، والجهادية

بخاصة، اتسم في غالبه بدرجة عالية من التسطيح والاختزال، وكذا الفضولية المعرفية غير المنبية على أسس مؤهلة لتشريح تفاصيل ظواهر معقدة ومركبة كتلك التي نعرض لها؛ فقد سعينا جاهدين قدر الطاقة لبيان قطاع من تفاصيل ظاهرة جزئية، النقد الذاتي، في مكون رئيس من مكونات الحركة الإسلامية، وهو التيار الجهادي.

ولأنني أزعم أن ثمة شرط سوسيولوجي، يعطي ميزة إضافية دقيقة للباحث في شأن الحركات الإسلامية، وهو معايشة الحالة الإسلامية داخليًا، والتعاطي معها نفسيًا واجتماعيًا، والتقلب بين أفكارها وأيديولوجياتها، دون التقلبات المتطرفة معها أو ضدها؛ هذا الشرط أراه ضروري لحيازة درجة من الوعي اللازم لتحليل وتفسير قطاعات لا بأس بها من ظواهر الحركة الإسلامية.

ونحن اليوم أمام أشد حالات التيار الجهادي فورة وبروزًا وشغلًا للرأي العام والخاص، والمتابع لمراكز التفكير والبحث العلمي الغربي والعربي؛ لا تخطئ بصيرته ملاحظة هذا القدر الهائل من الانشغال بالظاهرة وتطوراتها، ناهيك عن كم التخرصات والتفسيرات التي تمجها الصحف والمراكز وتكيات «التوكشو» المختلفة، بل باتت تشققات التيار الجهادي وتفاصيل مقولاته وبياناته ورسائلة تحت مفرزة التحليل والفحص في كل مكان.

حاولت جاهدًا هنا عرض أوعب شريحة من أمثلة ظاهرة النقد الذاتي الجهادي، بمختلف شرائحه، من غير اجتزاء أو بتر مشوه للمعنى، رغبة في تقديمها للقارىء مجردة من أي تدخل مني

بالرأي، إذ أفردت القسم الثالث من الدراسة لبسط أدوات ومنهجيات تحليلية تقرب وتفسر، من وجهة نظري، دوافع وخصائص ومخرجات عملية النقد الذاتي في الداخل الجهادي. حاولت قدر الطاقة بلورة منهجيات متداخلة وعابرة للتخصصات الأحادية، طمعًا في بلوغ أقرب صور التجريد والتفسير الخالص للظاهرة.

خلصت من خلال الدراسة لجملة من الأمور:

* على الرغم من استيعابي النسبي لجل ممارسات النقد الذاتي داخل الحالة الجهادية؛ إلا أنني مازالت أرىٰ لزوم تناول جزئياتها وتفاصيلها بمزيد تحليل وفحص، يبدأ بالأدوات التخصصية النوعية، ويثني بالمزج بينها منهجيًا، إذ المرجو من ذلك تحقيق مزيد تجلية لماضي وحاضر الحالة الجهادية، ولنرتكز علىٰ ذلك في فهم واستشراف مستقبل الحركة الجهادية.

* تحتاج الحركة الإسلامية بشكل عام، والتيار الجهادي منها بشكل خاص، لمنهجية تأريخية توثيقية لتاريخ الحركة والتيار، توثيقًا ذاتيًا، يحقق مقولاته ورواياته، ويدقق في تفاصيل الأحداث الفارقة فيه، إذ مازالت الحركة الإسلامية، والجهادية بشكل أخص، تفتقر إلىٰ مصادر ذاتية مؤرخة لماضيها وواقعها. قد يكون فرط حركية الحركة الجهادية وديمومة تفاعلها مع الأحداث، وانشغالها بتحقيق أهدافها ومصالح أمتها، هو مما يعوق قياداتها وأفرادها عن تلك المهمة، إلا أننا إزاء حقبة تاريخية قد يترتب علىٰ تشوه توثيقها

وتحقيق معطياتها إرثًا من التشوه الفكري والثقافي والتاريخي، الذي يتعذر تداركه لاحقًا مع موجة الانحدار الحضاري المعرفي بكل مجالاته التي تتنابنا، مع تسلم عدونا زمام حركة استشراقية جديدة، أكثر جدية ووعيًا[1].

* لا تزال درجة نضوج النقد لدىٰ التيار الجهادي قاصرة عن كشف الأعطاب الحقيقة كلها داخل التيار، ويظهر لي أن الانشغال بتفاصيل قضايا لا تعدو كونها جدلية ومبنية علىٰ أخطاء في الفهم، أو الحكم باللوازم، أو افتراض سوء طوية الناقد أو المنقود، كلها أمور تضيع جهودًا كان الاولىٰ بها الاستفادة من الأخطاء الحقيقية الواقعية التي ينبني عليها عمل.

* تبقىٰ عوائق سلطوية النظم السياسية العربية والإسلامية، واحتكارها السلطة والقوة، وتحديدها أفق المعارف والعلوم، وجعل الدولة ونظامها المركز الذي تدور حوله عقول وأبدان أفراد المجتمعات القابعة تحت حكم هذه النظم، بالإضافة إلىٰ انسداد آفاق المناشط السياسية والاجتماعية إلا مما تسمح به هذه النظم الشمولية. ولا يمكن بحال إنكار هذه الأسباب الدافعة لمواجهة هذا الاحتكار بخطاب احتكاري مقابل وساعٍ لحيازة القوة التي تحتكرها

(١) ففي وقت كتابة هذه الخاتمة تخرج نسخة مصورة من تحقيق إسرائيلي لكتاب الجبرتي «عجائب الآثار»، فضلًا عن غيره من مخطوطات وآثار تصدر الاستشراق اليهودي المعاصر لبحثها وحيازة مضامينها والوعي بأسرارها.

السلطة، بل وتأسيس سلطة معرفية جاذبة وناجعة في أوساط المجتمعات الحاضنة أو المحيطة.

* ثمة أزمة معرفية بنيوية تسربت للعقل العربي المعاصر تتعلق بتماهيه مع أدوات الحداثة، وتصالحه الضمني، المخالف لظاهره، مع مستجدات الفعل السياسي والاجتماعي المعولم والحداثي. يقول جاك دريدا تعليقًا علىٰ حادثة ١١ أيلول/سبتمبر: (إن أكثر ما هو مرعب في هذا الإرهاب ضد الغرب، هو أنه وليد الغرب نفسه، وبأدوات الغرب نفسه، إنه عنف الحداثة ضد الحداثة، «وليس عنفًا من خارجها». في تعليقه علىٰ الحادثة نفسها اعتبر جان بودريار أن «القاعدة عنف مضاد لعنف العولمة»، ولا ينبغي فهم هذا العنف المعولم خارج سياق العنف الموسع، والموجه الذي مارسته سياسات الغرب نفسه، دون أن يجعل ذلك أيًّا من العنفين أخلاقيًّا، حسب رأيه).

أما داعش فقد تجاوزت القاعدة بمراحل في قدرتها علىٰ استخدام أدوات الحداثة، وفي حرصها علىٰ «عولمة» الصورة، وقناعتها بمركزية هذه «الصورة» في العالم الراهن، تمارس داعش أشكالًا من العنف والوحشية ضد خصومها وضد المدنيين، سبق أن مارسته الميليشيات والجيوش، ولكنها كانت الأحرص علىٰ إتقان صورة العنف، وتقديم مشاهد طقوسية متقنة تفضح الموت ولا تؤنقه بالسلاح الحديث، ولكن هذا بالضبط ما يجعل من هذا العنف حداثيًّا بامتياز، إنها الصورة التي تغدو مقصدًا للقتل بحد ذاتها،

وصناعة معقدة تمثل الواقع وتشكله، وبوابة العبور نحو العالم. وهنا لا يكون الفعل الأفظع أخلاقيًّا وإنسانيًّا هو الأحق بتعاطف الجمهور، وإنما الفعل الذي استطاعت الصورة أن تؤكد فظاعته، فلا صور المحروقين في داريا أو حلب أو الغوطة أو حمص علىٰ يد نظام الأسد، أو المحروقين في رابعة علىٰ يد نظام الانقلاب المصري، أو المحروقين في بغداد علىٰ يد المليشيات الشيعية، استطاعت اكتساب «الفجائعية المعولمة» لحادثة إحراق البشر أحياء، كحادثة إعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة حرقًا، لا لكونها أقلّ عنفًا، وإنما لأن الصورة واهتمام الإعلام كانت أقلّ تركيزًا هناك. اللافت هنا أن الرهائن السابقين لمعاذ لم يكتسبوا هذا التعاطف نفسه، رغم وضوح موقعهم كضحية باعتبارهم وُجدوا في سورية، لغايات التعاطف مع الثورة السورية، أكثر من الطيار المقاتل بطبيعة الحال، لأن صورة الذبح استنفدت إمكانيات الدهشة، هذا ما أدركه إعلام داعش الذي اختار أن يبدع في صورة العنف لأهمية هذا الأسير الاستثنائية. تبحث أغلب التأويلات لعنف داعش الوحشي والدموي عن جذور تراثية لهذا العنف، مغفلة المنظومة الحداثية التي تشكل جذرًا أقرب للصورة التي يقدّم بها هذا العنف، والتي يطمح لمحاكاتها، وبأدواتها نفسها، خاصة أن أغلب التوقعات بشأن المخرجين لإصدارات داعش الأخيرة تدور حول أوروبيين انتقلوا إلىٰ «أرض الخلافة»، ولعل هؤلاء لم يقرؤوا لابن تيمية أو القاضي عياض ولا فتحوا كثيرًا من الكتب، ولكنهم

لا شك شاهدوا كثيرًا من الأفلام، ويقدمون ميزة لم يستطع مبدعو هوليوود توفيرها، أصبح عنف الصورة حقيقيًّا هذه المرة[1].

* ينبغي الانتباه لمستويات التحول الطارىء علىٰ مضامين وتوجهات الخطاب الجهادي ما بعد الداعشي، إذ أن الخطاب شديد العنف الذي تتبناه داعش أنتج، بحكم التنافس الزعاماتي والقيادي، خطابًا عند باقي التيارات القتالية، خاصة القاعدة وممثليها، أقل عنفًا من داعش، ومن خطابها هي ذاتها الذي كانت تصدره قبيل داعش. وبتتبع مضمون الخطاب النقدي للظواهري وللمقدسي تجاه داعش؛ نرىٰ تصالحًا مختبئًا خلف شعارات الاهتمام بالقبول الاجتماعي، ومراعاة الظروف الإقليمية، واعتبار المآلات الاستراتيجية في المواجهة، وهي أمور لم تكن متضمن بشكل كبير في خطاب القاعدة من قبل، بل وقد يثير الاستغراب ما سلكه المقدسي وقت مشكلة الطيار الأردني، وظهوره علىٰ أحخد القنوات المحلية غير الإسلامية، وتصاعد حدة هجومه علىٰ داعش، في سياق متصالح ظاهريًا مع النظام السياسي الأردني وقتها. هذا التغير يتطلب رصدًا فكريًا معمقًا، لأنه تكرر بنسبة ما إبان ثورات الربيع العربي، وبعدما باتت أطروعات العنف مهددة بالانحسار وعدم الجدوىٰ، وهو ما أنتج خطابًا جهاديًا متصالحًا مع التغيير السلمي غير العنيف.

---

(١) بتصرف من مقال: «تارنتينو البغدادي .. في عنف الصورة»، أحمد أبا زيد، صحيفة «العربي الجديد»، ١٨ فبراير ٢٠١٥م.

* ينبغي الإشارة إلىٰ أهمية التركيز علىٰ مفهوم سوسيوسياسي مهم، وهو مفهوم الفاعلين من غير الدول Non-State Actors، والذي بات مرتبطًا بشكل كبير بأنماط المجموعات الجهادية الحالية، خاصة داعش، إذ يلعب الفاعلون من غير الدول دورًا مهمًا في تطور الأحداث السياسية والاجتماعية الراهنة، وقد كان مفهومًا دومًا أن الدولة ليست الفاعل الوحيد المؤثر فيها، وذلك رغم أن الأدبيات العربية لم تهتم كثيرًا بدراسة وتحليل أنماط تأثير هذا النمط من الفاعلين. وإذا كان واضحًا تأثيرهم في المنطقة العربية وفي قضاياها الرئيسية، فإنه من الواضح أيضًا تأثرهم بالتطورات التي شهدتها المنطقة منذ اكتمال استقلال دولها منذ النصف الثاني من القرن العشرين، حيث يلاحظ نوع من التحول والتطور المستمرين في طبيعتهم وأدوارهم. فحركة حماس وحزب الله، باتت تملك وتقوم بأدوار علىٰ ذات درجة أهمية دور الدول. بل ويرىٰ بعض المحللين أن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين هو عقد الفاعلين من غير الدول، وفسر ذلك بتحول القوة من الدولة العربية إلىٰ الفاعلين من غير الدول، مثل حزب الله، وحماس، وتنظيم القاعدة، والتنظيمات المحلية الموالية له، والتيار الصدري في العراق علىٰ سبيل المثال. والمقصود هنا بالفاعل من غير الدولة؛ هو أي جماعة أو منظمة تتمتع بالاستقلال Autonomy = أي مقدار الحرية التي يتمتع بها عند السعي لتحقيق أهدافه، والتمثيل Representation= أي تمثيل أتباعه والمؤيدين له،

والنفوذ Influence = أي القدرة علي إحداث فرق تجاه قضية ما في سياق معين، مقارنة بتأثير فاعل آخر في القضية ذاتها. فالعمل علىٰ فحص المفهوم وتطبيقاته وتطوراته في الحالة الجهادية مهم لتفهم ميكانزمات التأثير والتأثر والفاعلية السياسية والاجتماعية في الواقع، إذ أن الدراسات الحديثة تتناول هؤلاء الفاعلين تحت اسم «الفاعلون من غير الدول المسلحون Armed Non-State Actors ANSA»، و«الفاعلون من غير الدول العنيفون Violent Non-State Actors»، أو «الفاعلون الدينيون»، أو «الفاعلون ذوو الهوية المتمايزة Identitary Actor»[1].

(١) للمزيد انظر: «اللاعبون الجدد: أنماط وأدوار الفاعلين من غير الدول في الثورات العربية»، إيمان رجب، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٧، يناير ٢٠١٢م.

Nonstate Actors: Impact on International Relations and Implications for the United States, National Intelligence Officer for Economics and Global Issues. 23 August 2007.

أهم المراجع العربية

* ١٥ طلقة في سبيل الله، مصطفي حامد، كتاب منشور علىٰ موقعه الشخصي.

* اختلاف الإسلاميين، أحمد سالم، مركز نماء للبحوث والدراسات.

* إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، أبو بكر ناجي، دار تمرد - سوريا.

* استراتيجيات صراع الإخوة الأعداء، أحمد أبازيد، ورقة نشرت بمنتدىٰ العلاقات العربية والدولية، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٤م.

* استراتيجية وتفجيرات القاعدة: الأخطاء والأخطار، كرم زهدي وناجح إبراهيم وآخرين من قيادات الجماعة الإسلامية، مكتبة العبيكان.

* الإسلام السياسي في زمن القاعدة، فرانسوا بورغا، ترجمة: سحر سعيد، شركة قدمس للنشر والتوزيع.

* الإسلاميون والمستقبل: رؤية في تخطي الحواجز، السيد أبو داود، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة.

* أصحاب الحق: دراسة في نقد الجماعات الإسلامية، علي عبد الرحيم أبو مريم، مركز الجزيرة للدراسات.

* أفغانستان في صباح اليوم التالي وتحديات ما بعد التحرير، مصطفي حامد، منشور علىٰ موقعه الشخصي علىٰ الإنترنت.

* آليات فهم الواقع، عبود الزمر، شركة اليسر للطباعة والنشر.

* أليس منكم رجل رشيد، أبو أيمن الحموي، رسالة منشورة علىٰ عدة مدونات علىٰ الإنترنت بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ.

* أنا سلفيٌّ: بحثٌ في الهوية الواقعية والمتخيلة لدىٰ السلفيين، محمد أبو رمان، مؤسسة فريدريش إيبرت- الأردن ٢٠١٤.

* الأيديولوجيا، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر.

* البدايات: الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري، عبد الله شلبي، مركز المحروسة للنشر.

* تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية، د. كمال حبيب، دار مصر المحروسة.

* تشريح الفكر السلفي المتطرف، حسن محسن رمضان، دار الحصاد - سوريا ٢٠٠٩.

* تطور مفهوم الجهاد، محمود محمد أحمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

* التنظيم والتنظير، عبد المنعم منيب، مكتبة مدبولي.

* ثياب الخليفة، أبي قتادة الفلسطيني، مؤسسة نخبة الفكر، رمضان ١٤٣٥ - يوليو ٢٠١٤م

* الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر ١٩٧٤ - ٢٠٠٤، د. سلوىٰ محمد العوا، مكتبة الشروق الدولية.

* الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، توماس هيغهامر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

* جهاد: انتشار وانحسار الإسلام السياسي، جيل كيبل، ترجمة: نبيل سعد، دار العالم الثالث.

* الحاكمية: نظرة شرعية ورؤية واقعية، ناجح إبراهيم، مكتبة العبيكان.

* الحركات الإسلامية في الوطن العربي، تحرير: عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية.

* خلافة داعش، د. هيثم مناع، بيسان للنشر والتوزيع.

* الخيال السياسي للإسلاميين، هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

* داعش: خلافة الدم والنار، رفعت السيد أحمد، دار الكتاب العربي.

* داعش: عودة الجهاديين، باتريك كوكبيرن، دار الساقي.

* داعش: من خلافة الدولة إلىٰ دولة الخلافة، غسان خالد، الفرات للنشر والتوزيع.

* دراسات في السلفية الجهادية، د. أكرم حجازي، مدارات للأبحاث والنشر.

* دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري)، للكتاب عدة نسخ منشورة على الإنترنت تتفاوت فيها بعض الصفحات نظرًا للتعديلات التي تطرأ عليه، دون تغير في صلب مضامين الكتاب.

* دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مؤسسة الأهرام.

* رسالة فيتبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف، د. أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.

* السلفية الجهادية .. دار الإسلام ودار الكفر، مجموعة مؤلفين، مركز المسبار للدراسات والبحوث.

* السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي: «مقاربة الهوية وأزمة القيادة وضبابية الرؤية»، محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، مؤسسة فريدريش ايبرت- الأردن ٢٠٠٩.

* السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، تحرير: رول ميير، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت.

* سيكولوجية المشاركة السياسية، د. طارق محمد عبد الوهاب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

* الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، عبد الله حمودي، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر.

* صليب فوق سماء قندهار، مصطفي حامد، كتاب منشور علىٰ موقعه الشخصي.

* ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، د. حسنين توفيق إبراهيم، مركز دراسات الوحدة العربية.

* عالم داعش، هشام الهاشمي، دار الحكمة - لندن.

* علم الاجتماع الديني: الإشكالات والسياقات، ساينوأكوافيفاوإنزو باتشي، ترجمة: عز الدين عناية، كلمة- هيئة أبو ظبي للثقافة.

* علم الاجتماع: النظريات الكلاسيكية والنقدية، د. أحمد زايد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

* العنف الديني في مصر: قراءة في فكر الخطر الإسلامي، د. محمد حسين أبو العلا، مركز المحروسة للنشر.

* العنف السياسي في المجتمع المصري في ضوء المتغيرات المحلية والعالمية (الجماعة الإسلامية نموذجًا)، التقرير الأول، إشراف: د. أحمد زايد، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة ٢٠١١.

* الفجوة الفكرية المنهجية في التيار الجهادي الحالي،

أبو مصعب السوري، مجلة قضايا الظاهرين علىٰ الحق، العدد (٢)، ذو الحجة ١٤٢١هـ، منشور علىٰ موقع «منبر التوحيد والجهاد».

* الفكر التربوي لتنظيم القاعدة مع التركيز علىٰ الحالة اليمنية (دراسة تقويمية)، د. أحمد الدغشي، مركز الدين والسياسة للدراسات.

* الفكر الحركي للتيارات الإسلامية، د. عبد النفيسي، مكتبة آفاق - الموبت.

* فلسفة الولاء، جوزايا رويس، تردمةأحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة.

* في طريق الأذىٰ: من معاقل القاعدة إلىٰ حواضن داعش، يسري فودة، دار الشروق.

* القاعدة الصعود والأفول: تفكيك نظرية الحرب علىٰ الإرهاب، فواز جرجس، ترجمة محمد شيّا، مركز دراسات الوحدة العربية.

* اللاعبون الجدد: أنماط وأدوار الفاعلين من غير الدول في الثورات العربية، إيمان رجب، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٧، يناير ٢٠١٢م.

* مبادرة وقف العنف: رؤية واقعية ونظرة شرعية، أسامة حافظ وعاصم عبد الماجد، ضمن سلسلة تصحيح المفاهيم التي أصدرتها الجماعة الإسلامية في مصر، مكتبة العبيكان.

* المتشددون المحدثون: دراسة لحركات إسلامية معاصرة، إشراف: أحمد خليفة، تحرير: سهير لطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* مختصر شهادتي علىٰ الجهاد في الجزائر (١٩٩٦-١٩٨٨)، أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، سلسلة قضايا الظاهرين علىٰ الحق (٦)، بدون دار نشر.

* المذكرة الاستراتيجية: المنهج الأساس لعمل القاعدة، عبد الله بن محمد، دار تمرد - سوريا.

* مراجعات الإسلاميين، بلال التليدي، مركز نماء للبحوث والدراسات.

* المشهد السوري بعد دير الزور: تحدي الوجود بين الدولة والنصرة والثورة، أحمد أبا زيد، ورقة بحثية منشورة علىٰ موقع «منتدىٰ العلاقات العربية والدولية»، ٢٥/٧/٢٠١٤م.

* ملاحظات حول التجربة الجهادية في سوريا، أبو مصعب السوري، بحث منشور علىٰ موقع «منبر التوحيد والجهاد».

* مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير: روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة: حسام فرج وعزة شبل، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (١٠)، المركز القومي للترجمة - القاهرة.

* مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرف في سجن العقرب، مكرم محمد أحمد، دار الشروق.

* النقد الذاتي في الفكر العربي، د. محمد الحموني، مركز نماء للبحوث والدراسات.

* يثرب الجديدة: الحركات الإسلامية الراهنة، محمد جمال باروت، رياض الريس للكتب والنشر.

أهم المراجع الأجنبية

* Groupthink, by Irving L. Janis Published in Psychology Today, Nov, 1971.
* Nonstate Actors: Impact on International Relations and Implications for the United States, National Intelligence Officer for Economics and Global Issues. 23 August 2007.

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

إصدارات نماء

قائمة إصدارات
مركز نماء
للبحوث والدراسات

سلسلة: تكوين

(١) تكوين ملكة التفسير.. خطوات عملية لتكوين عقل المفسر
أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني ..... 7 $

(٢) تكوين ملكة المقاصد
د. يوسف بن عبدالله حميتو ..... 7 $

(٣) مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي
سامي بن إبراهيم السويلم ..... 8 $

(٤) الدفاع عن الأفكار.. تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري
د. محمد بن سعد الدكان ..... 9 $

(٥) فهم كلام أهل العلم.. نحو ضوابط منهجية
أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني ..... 4 $

(٦) فقه تاريخ الفقه.. قراءة في كتب علم تاريخ الفقه والتشريع والمداخل الفقهية
د. هيثم بن فهد الرومي ..... 7 $

سلسلة: تساؤلات

(١) أسئلة دولة الربيع العربي
سلمان بو نعمان ..... 11 $

(٢) سؤال التنمية في الوطن العربي.. مداخل عملية ورؤى نقدية
هشام المكي ..... 10 $

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

بيروت: 00961-71-749742
الرياض: 0096654503376
لطلبات الشراء البريدية: 002-01090826164
info@nama-center.com

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

سلسلة: دراسات صناعة البحث العلمي

(١) مراكز البحث العلمي في الوطن العربي (الإطار المفاهيمي- الأدوار)
خالد وليد محمود ..... 5 $

(٢) مراكز البحث العلمي في إسرائيل
د. عدنان عبدالرحمن أبو عامر ..... 6 $

(٣) مراكز البحث الأمريكية ودراسات الشرق الأوسط بعد ١١ سبتمبر
د. هشام القروي ..... 6 $

(٤) مراكز الفكر والأبحاث والدراسات في الهند (دراسة تقويمية)
د. أيمن طلال / د. وائل أبو حسن ..... 7 $

(٥) التعليم والبحث العلمي ومراكز التفكير الاستراتيجي في تركيا
علي حسن باكير ..... 4 $

سلسلة: قراءات في الخطاب الشرعي

(١) الخطاب المقاصدي المعاصر.. مراجعة وتقويم
د. الحسان شهيد ..... 8 $

(٢) الأبعاد النفسية والاجتماعية في النظر الفقهي
د. إلهام عبد الله باجنيد ..... 5 $

(٣) إصلاح الفقيه.. فصول في الإصلاح الفقهي
د. هيثم بن فهد الرومي ..... 8 $

(٤) حجاب الرؤية.. قراءة في المؤثرات الخفية على الخطاب الفقهي
عبدالله بن رفود السفياني ..... 6 $

(٥) الإسلام الممكن
ماهر بن محمد القرشي ..... 8 $

(٦) حركة التصحيح الفقهي
ياسر بن ماطر المطرفي ..... 16 $

(٧) النظر الفقهي في المعاملات المعاصرة
عبدالله بن مرزوق القرشي ..... 8 $

(٨) تجديد فقه السياسة الشرعية
د. خالد بن عبد الله المزيني ..... 5 $

(٩) الفقه الارتيادي.. نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل
د. هاني بن عبد الله الجبير ..... 4 $

(١٠) الخطاب الوعظي.. مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه
د. عبد الله بن رفود السفياني ..... 12 $

سلسلة: دراسات في الحالة الإسلامية

(١) اختلاف الإسلاميين
أحمد سالم ..... 14 $

(٢) مراجعات الاسلاميين.. دراسة في تحولات النسق السياسي
بلال التليدي ..... 11 $

(٣) جدل الإسلاميين
د. عبد القدوس أنحاس ..... 9 $

(٤) الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية.. دراسة في أزمة النموذج المعرفي
بلال التليدي ..... 11 $

(٥) التكفير عند جماعات العنف المعاصرة.. نقد المقولات التأسيسية
إبراهيم بن صالح العايد ..... 13 $

(٦) صورة الإسلاميين على الشاشة
أحمد سالم ..... 12 $

سلسلة: تاريخ الفكر الفلسفي الغربي.. قراءة نقدية

(١) في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة
د. الطيب بوعزة ..... 10 $

(٢) الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية
د. الطيب بوعزة ..... 13 $

(٣) فيثاغور والفيثاغورية.. بين سحر الرياضيات ولغز الوجود
د. الطيب بوعزة ..... 13 $

سلسلة: دراسات الاختلاف والحوار والتعايش

(١) تجربة الحوار الثقافي مع الغرب.. قراءة تقويمية ونموذج مقترح
د. محمد جبرون ..... 6 $

(٢) صناعة الآخر.. المسلم في الفكر الغربي المعاصر
د. المبروك الشيباني المنصوري ..... 11 $

(٣) التعددية الدينية والإثنية في مصر.. دراسة في طبيعة العلاقات والتفاعلات
د. محمد توفيق توفيق ..... 11 $

(٤) فلسفة الاجتماع في الشريعة الإسلامية.. دراسة تأصيلية
ماهر بن محمد القرشي ..... 11 $

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

سلسلة: دراسات شرعية

(١) نظرية التجديد الأصولي
د. الحسان شهيد ..... $ 8

(٢) إشكالية الإعذار بالجهل في البحث العقدي
سلطان بن عبدالرحمن العميري ..... $ 12

(٣) مبدأ اعتبار المآل في البحث الفقهي
د.يوسف بن عبدالله حميتو ..... $ 12

(٤) الخلاف العقدي في باب القدر
د. عبدالله بن محمد القرني ..... $ 5

(٥) إشكالية الحيل في البحث الفقهي
عبدالله بن مرزوق القرشي ..... $ 14

(٦) علاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق
وائل بن سلطان الحارثي ..... $ 14

(٧) مرتبة العفو.. قراءة أصولية تحليلية في ضوء موافقات الشاطبي
جميلة تلوت ..... $ 8

(٨) معالم منهج البحث الفقهي عند ابن دقيق العيد
د. عادل بن عبد القادر قوته ..... $ 11

(٩) تقييد المباح.. دراسة أصولية
د. الحسين الموس ..... $ 12

(١٠) نظرية الإلزام.. إلزامات ابن حزم للفقهاء
د. فؤاد بن يحيى الهاشمي ..... $ 12

(١١) المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج التاريخية
د. عبد الرحمن بن نويضع السلمي ..... $ 9

سلسلة: دراسات فكرية

(١) فلسفة الثورات العربية
سلمان أبو نعمان ..... $ 6

(٢) الإسلاميون والربيع العربي
بلال التليدي ..... $ 8

(٣) صناعة الواقع.. الإعلام وضبط المجتمع
محمد علي فرح ..... $ 12

(٤) ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان
عبد الله بن سعيد الشهري ..... $ 11

سلسلة: حوارات نماء

(١) حوارات ما بعد الثورة
مركز نماء للبحوث والدراسات ..... $ 6

(٢) التشيع في أفريقيا
لجنة تقصي الحقائق (اتحاد علماء المسلمين) $ 18

سلسلة: تجارب

(١) التجربة اليابانية.. دراسة في أسس النموذج النهضوي
سلمان بونعمان ..... $ 6

(٢) التجربة النهضوية التركية
محمد زاهد جول ..... $ 6

(٣) التجربة النهضوية البرازيلية.. دراسة في النموذج التنموي ودلالاته
صدفة محمد محمود ..... $ 12

(٤) التجربة النهضوية الألمانية
د. عبد الجليل أميم ..... $ 7

(٥) حكاية التنمية.. حكايات حكمية من جنوب شرق آسيا عن التنمية المستدامة
ترجمة/ د. أبو بكر أحمد باقادر ..... $ 8

(٦) من التجزئة إلى الوحدة.. قراءة في التجارب الغربية والعربية
د. خالد شيات ..... $ 11

سلسلة: مراجعات في الفكر العربي المعاصر

(١) إمكان النهوض الإسلامي
د. محمد جبرون ..... $ 7

(٢) القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي.. مقدمات في الخطاب والمنهج
عبد الولي بن عبد الواحد الشلفي ..... $ 14

(٣) العلمانيون في تونس
د. محمد الرحموني ..... $ 8

(٤) النقد الذاتي في الفكر العربي
د. محمد الرحموني ..... $ 7

(٥) الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر
د. عبد الرحمن اليعقوبي ..... $ 12

(٦) النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني.. في نقد الاستعمار الجديد
سلمان بونعمان ..... $ 10

كتب أخرى

(١) تنبيه المراجع إلى تأصيل فقه الواقع
الشيخ عبدالله بن بيه ..... $ 6

(٢) أوراق صحفية
أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني ..... $ 12

(٣) اعتدال آل البيت
أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني ..... $ 2

(٤) فيوس بوكيات
أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني ..... $ 12

نماء للبحوث والدراسات

Namaa for Research and Studies